

المجلد الثاني

— دار السعادة المحرم سنة ١٣٣١ يناير سنة ١٩١٢ م —



مركز الدراسات والبحوث
مركز الدراسات والبحوث

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)

بسم الله الرحمن الرحيم
Bibliothèque d'Alexandrie

(وَإِذَا قَالُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِمَعْصُمِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا
اتَّخَذْتُمُوهُمْ بَمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ أُولَئِكَ
يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ . وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ
الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ فَوِيلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ
بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوِيلٌ لَهُمْ مِمَّا
كُنْتُمْ بَأَيْدِيهِمْ وَوِيلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّ النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا
مَعْدُودَةً . قُلْ اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ
عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ

الجنة هم فيها خالدون . وَاذْخُلْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا
وَأَقِيمُوا صَلَاتَ وَآتُوا زَكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ .

أرثنا خاتمة الآيات الكريمة هذه أن سنة الله قد خلت في عباده
دون تغيير لها ولا تبديل أن الله لا يخفف العذاب والآلام ولا يكتب
النصر لمن يشترى الحياة الدنيا بالآخره ومن يؤمنون ببعض أحكام الله
التي تطابق شهواتهم ويكفرون بما لا يطابق ميولهم الشيطانية منها
إذا قص الله علينا تاريخ بني إسرائيل وأوضح لنا جزاء ما كسبت
أيديهم من العذاب المهيمن والحزى العظيم فما ذلك لمجرد تفرغ من كفروا
برسالة رسولنا ولا لبيان ما جاءه سلفهم من ضروب العناد قديما ودرج
عليه خلفهم بغيا وعدوا فقط ولكن هناك ما رب أراد الكتاب الكريم
أن يبينها للمسلمين حتى يحذروا عاقبة تفرطهم في كتابهم واتباعهم
شهوات نفوسهم لئلا يصيبهم ما أصاب أولئك الذين جنوا على أنفسهم بما
حاربوا الله ورسوله وتلاعبوا بآياته وكتبه . فلنبسط هنا ماضته تلك
الآيات الكريمة من العبر ليعلم المسلمون أنهم ما أصابهم هذا البلاء الذي
هم فيه إلا لأنهم اتبعوا خطوات بني إسرائيل خطوة فخطوة غير ذاكرين
لما قص الله علينا شأنهم وما ضرب لنا من أمثالهم

بينت الآيات الكريمة أن بني إسرائيل كانوا فريقين . أحدهما أهل
الهدى والآخر أهل الضلال . كانا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما علقوه

وتحرفوا أسرارهم . فلم نغفهم علمهم ولا درسهم بل اتبعوا وسوس صدورهم
وقادوا العامة من أهل ماتهم إلى المصارع الوحشية . كانوا إذا جنح أحدهم
إلى النصفة والصدق وخبر المسلمين بما جاء في التوراة من الآيات الدالة على
صدق محمد نبيهم أقبل بعضهم على بعض يتلاومون فكان إجبارهم أولئك
يقرعونهم ويذرونهم وينكرون عليهم تحديهم المسلمين بما فتح الله عليهم في
كتابهم التوراة من الآيات كيلا يمكنوا المسلمين من حاجتهم إذا تناسموا
بين يدي الله وحكموا كتبه المقدسة ووجه الصادق فيما شجر بينهم . يريدون
بذلك أن يخادعوا الله ويتغفلوا المسلمين ولا يتقيدوا بأحكام النبي الأمي الذي
يؤمن بالله وكلماته جميعها وهم يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون . ذلك
كان دأب القارئ الدارسين من أهل الكتاب . أما الفريق الآخر فكانوا
أُميين لا يقرأون ولا يكتبون ولا يعلمون الكتاب المنزل عليهم من الله
إلا ما يطابق أمانيتهم وشهواتهم . وكما سمعوا شيئا من آيات التوراة النصرانية
امسكوا عن الاستمسك والعمل بما فهمه بادي الرأي منها واتبعوا ما يظنون
من أقوال إجبارهم من التأويل البعيد الذي يتأفره منطوق الآيات ويناقضه
العلم اليقين . فهو لاء على جهلهم لو عملوا بما بلغه علمهم القاصر من معاني التوراة
لسلموا واحسنوا فان ذلك كل ما يكلفهم الله تعالى الذي لا يكلف نفسا إلا
وسعها ولا يكلف نفسا إلا ما آتاها ولكنهم اعرضوا عن كتاب الله
وتأثروا خطوات إجبارهم ولم يتبعوا إلا الظن وماتهموى النفس ولقد
جاءهم من ربهم الهدى

ولا يخفى ما في هذه الآية الكريمة من تكليف العامة حتى الأميين منهم

بأن يعملوا بما يفهمونه من كتب الله فلا يجوز أن يصدهم عن العمل بما تباعه عقولهم من معاني آيات الله ما يستمعونه من فتاوى الاحبار والقسيسين والمشايخ فان العامة ليفهمون كغيرهم كثيراً من آيات الآداب والاخلاق وطائفة صالحة من آيات الاحكام فاما ما لا تباعه مداركهم فانهم غير مكلفين بالتقريب عنه واستيعابه ويكفي من لم يستطع منهم البحث والنظر أن يكتفي اذذاك بما يفقيه العلماء فانه ليس كل انسان مكلفاً شرعاً بالاجتهاد محظوراً عليه التقليد اذ لا يستطيع الاجتهاد الا من توفرت فيه شرائطه أما غيرهم ممن لا يمكنهم الانقطاع الى البحث والنظر والتدقيق والتحقيق فانه لا يحرم عليهم التقليد الا في ثلاثة مواضع احدها حيث يفرض التقليد الى الاعراض عما انزل الله من الاحكام وعدم الالتفات اليها عندا كان ذلك اكتفاء بتقليد الآباء والعلماء ثانياً تقليد من يجهل المقلد انه اهل لان يعتمد على رأيه ويؤخذ بقوله . الثالث التقليد بعد أن تقوم الحاجة امام المقلد ويظهر له الدليل على خلاف قول من قلده

(وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون . قال أولو جئناكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ؟)

قال ابن القيم أما تقليد من بذل جهده في اتباع ما نزل الله وخفي عليه بعضه فقلده فيه من هو أعلم منه فهذا ممدوح غير مذموم ومأجور غير مأذور . أما غير هذا فان عليه ان يرجع اولاً الى كتاب الله وسنة رسوله والا يقلد حتى يكون ذلك الذي لم يتمكن من الاستنباط ولم يقطع الحصول

على العلم (اتبوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء) فكما ان وجود علماء السوء واحبار الشيطان كانوا من اسباب سخط الله على نبي اسرائيل ومقتله الا بدى لهم . كذلك كان اكتفاء العامة بتقليدهم واعراضهم عما انزل الله من الاحكام سبباً آخر لذلك الغضب الحائق والشكال المالحق . ذلك انهم قلدوا طوائف منها من لا يسلم من الزلل الذي لا يأمن احد من البشر التورط فيه اللهم الا المعصومين ومنها من يحرفون الكلام عن مواضعه ويعززون الى الدين ما ليس منه ابتغاء الفتنة او ابتغاء الدنيا (يشترون بعهد الله وايمانهم ثمناً قليلاً)

ولا جرم ان اتباع هذه الطوائف ينشر البلاء وينسخ العدل ويمحو آثار الفضيلة ويفضي الى استباحة المحارم كراقة الدماء واسترقاق الرقاب وسلب الحقوق

فاذا عرض العامة عن الاحكام السماوية المنزلة مكتفين بأخبار الضلال وسما سره ابليس الذين لا يخلو منهم زمان ولا مكان كانوا خليقين ان تنفى فيهم الفتن وتمطل بينهم الحدود وتضع الحقوق . ولقد جرت عادة المقلدين انهم يتقربون عن رخص المذاهب ويستمسكون بأبواب الحيل تذرعا الى بلوغ امانيتهم وشهواتهم فما علمهم بالكتب الالهية بالعلم الصحيح وانما هي امانى وشهوات يريدون بلوغها وتصيداها من طريق لدين . لذلك سعى الله تعالى علمهم بالكتاب المقدس امانى حاولوا الحصول عليها بتلك التأويلات الظنية والتوجيهات الوهمية وان خالفت صريح الآيات المقدسة . فهم من علمهم ان الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بنير الحق

لا يفتأون يرجعون الى قادة الضلال من اهل الحيل والفساد ليوجدوا لهم ذريعة بها يقتربون الفاحشة ويأتون الأثم ويغفون على الناس بغير الحق . ومن العجيب انهم مع اقتناع ضمائرهم بانهم محتالون مخادعون الله ورسوله محاربون لدينه يسمعون تلك الذرائع الشيطانية « بالحيل الشرعية » وماهى الاحيل الشيطانية . اما المارقون من اهل العلم فانهم يتصيدون بها المال وما يشتهون من متاع الدنيا واما العامة فان من غريب امرهم انهم يبحثون جد البحث عن تلك الطائفة ويتركون من عرف من العلماء باليقوى والورع والدين فيمنون بعلمهم هذا على انفسهم انهم طلاب حيل واحيل لا طلاب عدل وحقائق . ومن هنا كانوا في نظر الخبيرين باطوارهم واحوالهم مشاركين لمن يقلدونهم في آثامهم وقبيح مكرهم بالدين وان كانوا أخف منهم وزراً واقل آثماً . لذلك خص الله اهل الدرس والقراءة بالويل والهلاك اذ يقول (فويل لهم مما كتبت ايديهم) من مردولات الحيل ومقبوحات التأويل (وويل لهم مما يكسبون) من وراء ذلك من حطام الدنيا ومتاعها الزهيد

ويعجبني ما جاء من مخشري في تفسير الكشاف هنا اذ قال : ان الكتاب الكريم ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيفان ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على انهم في الضلال سواء لان العالم عليه أن يعمل بعلمه وعلى العاصي ألا يرضى بالتقليد والظن مادام متمكناً من العلم اه ولا يخفى ان العلماء المضللين اعظم أثماً وأفظع وزراً ولذلك جاء في تهديدهم ايعادهم قوله « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون

هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون »

كتب الله ليصين الويل والعذاب الشديد اولئك الذين يتأولون آيات الله بالرأى ويستنبطون الاحكام للعامة من طريق الحيل ليقتنصوا أموالهم ويشتروا بعهد الله وميثاقه الذى اخذه عليهم فى كتبه المقدسة حطام الدنيا الزهيد ومتاعها الزائل . ثم زادهم توعداً وانذاراً بقوله على سبيل التأكيد (فويل لهم مما كتبت ايديهم) من القساوى الملققة والتأويلات الباطلة (وويل لهم) مما تصيدوه وأكلوه باطلاً من حطام الدنيا الحقير

ولقد صدق الله ايعاده فانه ما فعلت امة فعل احبار بنى اسرائيل الا ساء الله عليهم العذاب والذكال وضرب عليها الذلة والمسكنة ولم يضرب الله الامثال برءوس الاسرائيلين واحبارهم الا ليعين غيرهم من ارباب الملل الاخرى كيف تكون عاقبة من يحرفون الكلام عن مواضعه ومن ينسبون الى الله تعالى من الاحكام ما هو من صنع ايديهم واملاء شهواتهم . ولو ان علماء الاسلام تدبروا ما يضرب الله لنا من هذه الامثال لما تفشت فيهم امراض الامم التى حقت عليها كلمة الله ومضت فيها سنته . ولما كان فيهم من علماء السوء وخلاقي المبتدعات والحيل من يكاد احبار اليهود اولئك يجارونهم فى مضماره فلقد انتشر التأويل الشاذ لكتاب الله تعالى وحكمت الشهوات على كثيرين ممن تصدوا لتفسيره وتأويله حتى جعلوا يستنبطون الاحكام ويصوغونها لا كما تشاء اساليب القرآن وتشاء اسراره الحكيمية ولكن بمقدار ما يستدرون من الرشوات ويتصيدون من جميل الهيات

ويستمتعون باطياب اللذات. ولا جرم ان امثال هؤلاء ينقصون بما يفعلون
اركان الدين ويمطلون حدوده ويضيعون حقوق الامم ويمكنون الاقوياء
من الضعفاء ويظاهرون الاغنياء على الفقراء. وبذلك تنفشي في امهم امراض
الاخلاق وتسود بين افرادها العداوة والبغضاء ولا يزالون كالنار يأكل
بعضهم بعضاً حتى يتمكن منهم الضعف والانهلال ويؤذن فيهم الدهر بالزوال
ذلك ويل الله وعذابه العاجل في الدنيا. اما في الآخرة فنار حامية
وادراك ما فيه.

فهل لعلماء الاسلام ان يستدرکوا ما فاتهم وان يشبوا الى ربهم فلا
يحكموا فيما يشجر بينهم غير كتابه وسنة رسوله وان يتركوا الفتيا بالرأى
ويقلعوا عن الحيل التي شوهوا بها وجه الاسلام وهدموا بعمالها اركانها
المتينة وفيهم بقية امل واثارة رجاء قبل ان يصيبهم من عقاب الله الشديد
ما اصاب اشباههم من بنى اسرائيل. وحسبهم من نذر الله ان قد تنقضت
دعائهم اكثر مما لكهم واخذت الامم الصليبية بنواصيرهم ولم يبق لهم سوى
دولة واحدة تتمدها الاخطار وتخطف ممالكها لاشرا. لنترك خطبة
الدنيا وابتاع الحقيق من متاعها بما انزل الله علينا من آياته فلقد رأينا آثار
الاعراض عن الشريعة المطهرة في بلاد فارس ومراكش ومصر وتونس
ونخشى ان يعم البلاء فتجتاحنا الجوائع وتساقط علينا العقوبات السماوية فلا
يبقى للعالم الاسلامي من وجود. ذلك كتاب الله بيننا ظاهر واضح وتلك
سنة رسوله بينة جميلة وان من الاماني الباطلة ان نتحل الاسلام وقد
اعرضنا عن تحكيمه في شؤوننا واتبعنا ما الى شيو خنا وان عارضت النصوص

اوظاهر العبارات. ومن لنا بطائفة تدعو ثانية الى الكتاب الكريم وترد
ما يقع فيه انتازع الى الله ورسوله وبين ايدينا من آياتها البينة الواضحة
ما لو تدبره المسلمون وعملوا بقليل منه لامتد سلطانهم وقويت شوكتهم
ولما اصبحوا نهبا تقاسم وكرة تلقف. سلك المسلمون مذاهب اجبار اليهود
في اكثر شؤونهم كما اسلفنا ولم يتدبروا عاقبة ما فعل اولئك وابتدعوا في
دينهم واحكام معاملاتهم. وان من بيننا من يدعون ان لهم دالة على الله
تعالي وانهم من اوليائه لا يعذبهم بذنوبهم ولا يسوى بينهم وبين غيرهم من
سائر البشر ما لمكانتهم من الرسول عليه الصلاة والسلام وما لا خذهم ببعض
الطرق التصوفية وزعمهم ان الله لا يعذبهم بما يجترحون من السيئات وان
عذابهم محدود موقوت. ومنهم من يزعم انهم اذا ادخلوا يوم القيامة جهنم
فانها تطيب وتذللهم فلا تألم اجسادهم بعذاب الحريق ولا تكون اذا حشروا
فيها الا بردا وسلاما. كذب اليهود اذ قالوا لن تمسنا النار الا ايام معدودة
واذ قالوا نحن ابناء الله واحباؤه الى نحو هذا من المزاعم التي حاجهم الله فيها
يقوله « قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء » وبقوله « قل اتخذتم عند الله عهدا فلان يخلف الله عهده. ام
تقولون على الله مالا تعلمون بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته
فاؤنك اصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون »

بهذه الانبا. الالهية قد انقطعت حجج المبطلين وانكشفت حيل
المحتالين وتبينت خفايا مقاصد الاجار والقسوس والشيوخ من طاب شهوراتهم

باسم الدين فان الله قد حقت كلمته ونفذت سنته من ان من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فلم يعالج اطواقها المحيطة بعنقه بالانابة الى حظيرة اقدس ولم يغسل أدرانها بمدامع التوبة والندم لاجرم انه من الخاسرين ولو كان حراً هاشمياً وان من آمن بالله وعمل الصالحات واجتنب كبار الاثم والمواحش فانه برضوان الله واحسانه في الدنيا والآخرة ولو كان عبداً رأسه زينة فمن الحق وقبيح الجهل ان يتدع اناس امثال احزاب البحر والبر والجلجولية واشباهها ثم يتعبدون بتلاوتها ويتخذونها ذرائع الى جمع المال وقهر الاعداء وفتح الثغور وحماية الممالك فحسبنا ذلك الجهل الذي اضاع ممالك الاسلام وأذل اممه في اطراف الارض. اوليس من المبكيات ان تعقد اوروبا مؤتمر الجزيرة وان تظل المخبرات والمناقشات بين فرنسا والمانيا واسبانيا جارية زهاء سبعة اعوام واهل المغرب الاقصى ما بين لاه ولاعب ومشغول بالاحزاب والاداد متكل على من في القبور من الاولياء موقن ان هؤلاء لا يسمحون للجيوش الفرنسية بدخول ارضهم مهما كان بأسها وقوتها ومهما جلبت من مدافعها وطياراتها ومدصر ديناميتها

الا ان لويل للدين الذي يتولى حمايته وتأنيده امثال أولئك الجهلاء والويل ثم الويل للامم التي يتفشى فيها ذلك الداء.

ما تخذله ودي ولا مسلم عند الله عهداً ان ينصرهم ولو تخذلوا ويحفظهم ولو فرطوا ويرفعهم ولو جهلوا ولكن الله يفعل ما يشاء في خلقته لا معقب لحكمه فاهو بخاف سنته ولا بمغفر كلمته. ولقد امتلأت الدنيا بالعبث والكنس غافلون وبالايات ولكننا لاهون لاعيون. واذا ظلمنا في غمرتنا هذه ولم

يكنفنا زاجراً مانزلاً بنا من المصائب فالسلام على الاسلام بعد حماته الاولين والويل له من هؤلاء الغافلين.

حما اسلفنا تبين ان سنة الله تعالى لا تتخلف وناموسه العام لا يشذ قاله يهود والنصارى والمجوس والمسلمون كلهم سواء اذاء وعود الله وايماداته فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره. ولقد بطلت بهذه الآيات واشباهها حجج المتكلمين على الخيل المتشبثين باهذاب الاماني الكاذبة فان عدل الله تعالى وانصافه يستلزم عقاب من احاطت به كباثر خطاياهم حتى فارق الدنيا قبل ان يخرج بالتوبة عن مسورها. وهل جزاء ذلك الخاطيء الا اثم الاخلاص وطول الاقامة في النار يوم القيامة (١) قال تعالى (ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به) ولا يجزله من دون الله وليا ولا نصيراً.

ومعلوم ان كل مالىس صالحاً من الاعمال فهو سوء لا يسلم مكتسبه من جزائه الا وفي. فكيف ينتظر الحياة مع هذه التحاذير من يتذرعون الى الموت بجميع وسائله كيف ترجو الدوام والعزة بمالك اغفل اصراؤها ومترفوها السياسة الرشيدة والتدبير الحكيم واكتفوا من القوة والعظمة بمظاهرها الكاذبة ومجاليها الخادعة فقد عرفت الدولة العباسية في اواخر انقاسها التي لفظتها ان ليست حياة لدول بتولية السيوف وتذهيب المناطق وتطرية وجوه الجنود وتثنيق الملابس وزركشة السروج والانصراف

(١) الخلود في اللغة معناه الاقامة الطويلة ولا يدل على ما جرى به العرف من معنى الا يديه وعلى هذا الاحاجه للبحث في معنى النسيه والخطيئة وصرفنا الى الكثير مما اطال فيه القسرون

عن جانب الله الى الاعتماد على كثرة العدد ووفرة العدد وما يتبع هذين من الكبرياء والخيلاء .

لقد اتبع اصراء الاسلام شهواتهم وروح لهم تلك الحياة التعمسة علماء السوء في كل زمان ومكان يكتبون لهم الفتاوى بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ولقد غفلوا عما يكيد لهم اعداؤهم وعموا عما يدبر لهم من السوء كما طمسوا معالم العدل في ائمتهم ومحو آيات الرقي في مناطق حكمهم فلم يدعوا فيها آية من آيات العلم والصناعات ومكارم الاخلاق حتى اذا احدثت بهم الاهوال واخذ عروشهم الزلزال من كل جانب قالوا انه لولا اسلامنا ما اخرجنا من ديارنا ولا تنكالت الامم على ممالكنا ولولا اسلامنا ماشقت حياتنا بداوم الاضطرابات والزعازع الداخلية ولولا اسلامنا لكننا في مصاف الدول العظمى . قل افلم يكن من المسلمين اولئك الخلفاء الراشدون وملوك بني امية وابو جعفر المنصور وهرون الرشيد والمامون وسلاطين الدولة الايوبية . اولم يكن من المسلمين محمد الفاتح وسليمان القانوني وسليم ؟ اولم يكن الاسلام هو دين اولئك الذين ملكوا الارض مشارقتها ومغاربها واقاموا معالم المدنية الصحيحة في اطرافها ونشروا العلم والدين واللغة بين عربها وعجمها وبرابرتها .

الا ان الامم التي تحتفظنا اليوم لم تنشط الى اغتيالنا وتوهين اركاننا الا بعد ان رأينا قد اعرضنا عن السنن الطبيعية السكيفية بدوام حياتنا . رأينا معرضين عن سياسة القرآن الكريم مكبين على الشهوات البهيمية الدنيئة منصرفين عن التجارة والزراعة والصناعة التي هي اركان الحياة الاستقلالية

رأينا متناذين متقاطعين يفرى احدانا جلد اخيه بلسانه وقد عني عن سائر مايبيت له اعداؤه . وبالجملة فقد رأينا الامم الصليبية بمغزل عن سياسة ديننا وتعاليم قرآننا التي ضمنت لاسنفنا الصالح ملك ما بين المشرقين في نحو ثمانين سنة فذلك الذي اغراها بنا واطمعها فينا . وذلك الذي اوهن قلوبنا عن حماية اوطاننا ومنازلة اعدائنا ولو كانوا في داخل أرضنا فليس الاسلام هو الذي جلب علينا تلك الاخطار وصب على رؤسنا الصواعق والاهوال وانما مبعث جميع ذلك ان الاسلام اليوم لم يتجاوز حد الازياء التي اصطلح عليها المسلمون فلوسألتهم ماذا كانت سياسة المصطفى وخلفائه او ماذا جاء في القرآن من آيات المدنية الصحيحة والنظام الالهي التي جعلها الله ناموسا لما يقام في الارض من الممالك الاسلامية لاتكاد تجد من بينهم من عني يوما بدرس تاريخ الرسول وخلفائه من بعده ولا من فكر ساعة في كتاب الله الكريم وناموسه المقدس .

ونوانهم درسوا قرآنهم وتعرفوا تاريخ نبيهم وتبعوا سياسته وسياسة الخلفاء الذين دانت لهم الارض من بعده لرأوا رأى العين انهم ناكبون عن الصراط السوي مبطلون في مزاعمهم التي يلصقونها بالاسلام وبكتابه المقدس . فالنيران التي فيها المسلمون اليوم لم تكن الاجزاء وفقا على ما كسبوا من السيئات التي احاطت بهم وتغلقت في سائر اعمالهم واطوارهم ومعاملاتهم . فاذا نحن اعتبرنا ذلك بشؤونهم السياسية واحوالهم المادية وحياتهم الاجتماعية واطوارهم النفسانية وجدناها جميعها سيئات متراكمة وظلمات بعضها فوق بعض . ولوانهم تمسكوا

بالصالحات من الاعمال فحذروا واستبصروا ونشروا العلم والصناعة
واقاموا موازين العدل وشورى الجماعة ولوانهم نشروا الفضيلة واقاموا
الشركات ومحوا ما بينهم من التفرق والخلاف لعاشوا في الدنيا وهم ناعمون
فرحون ولسكانوا في الاخرى اصحاب الجنة هم فيها خالدون .

*

**

بعد ان قص الله علينا ما كان يفعله بنوا اسرائيل من التلاعب باحكام
دينهم والركون الى ظنونهم وامانيهم اخذ يبين لنا ان من اسباب خزيهم
في الدنيا وعذابهم في الآخرة توليهم عن الاحكام التي فرضها عليهم بعد
ان قبلوها مقرين معترفين بصلاحتها وانها من عند الله تعالى قدرها
لمصلحتهم واستقامة شئونهم وسعادتهم في حياتهم الاولى والآخرة
لقد اخذ الله عليهم الميثاق الا يعبدوا الا الله وان يحسنوا ويتفرقوا بالوالدين
وبذوى قرابتهم وباليتامى والمساكين وان يحسنوا القول للناس وان يقيموا
الصلاة ويؤتوا الزكاة . عطل بنوا اسرائيل قديما كما فعل مسلمو هذه
الاجيال تلك الشرائع والنوامس المقدسة فهجروا المساجد ونسوا
ذكر الله ثم عقوا والديهم وقطعوا ارحامهم وقست قلوبهم على التسامي
والمساكين كما خشت الفاظهم في مخاطبتهم ثم عطلوا الصلوات التي هي
عماد الدين وهدموا الزكاة وهي الركن المسكين .

واعلم ان اجلي مظاهر عبادة الله تعالى امثال اوامر واجتناب مناكيره
ومن السخافة ان يزعم الانسان انه يعبد الله وهو منتهك لحرمة ناكب
عن صراطه غافل عن آياته معرض عن تذكره . فعبادة الله على ما بيناها

من اعظم الذرائع لمن شاء ان يتخذ الى الدنيا والآخرة سبيلا .
ولقد اثى الكتاب الكريم بالاحسان بالوالدين لانهما في المرتبة
الذاتية بعد الله استحقاقا للشكر والبر وكيف يرجى الخير من قوم
يعقون آباءهم او يزدرون من كانوا سبب وجودهم . يربى الآباء اولادهم
بحكم فطرتهم غير طالبين اجرا ولا مبتغين شكرا . يقطعون الايام
والليالي في تهينة ما يحتاجه اولادهم من المطعم والملبس دون كلال ولا ملال
فكيف يكون لمن يكفرون بنعمتهم ويخشنون لهم القول او المعاملة اثر
من اخلق الكريم والنفس الطيبة .

لقد اوجب الله الرفق بهم والاحسان اليهم ولو كانوا كافرين . وانظر
كيف تطف ابراهيم عليه السلام في دعوة ابيه من الكفر الى الايمان
يقوله (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا) كان ابراهيم
يتطف ذلك للتطيف على ان أباه كان يخشن له في القول ويزجره ويقرعه
ويتوعده (قال اراغب انت عن آلهتى يا ابراهيم لئن لم تنته لارجنك
واهجرنى مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربى انه كان بى حفا) .
ثم انظر كيف بالغ الله في طلب الرفق بالآباء وفرط اللين في مخاطبتهم
الذي يقول (ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما
جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) .

والخلاصة ان من يكون كافرا بنعمة ابويه غليظ القلب عليهم لا يتوقع
ان يكون له من الاخلاق الكريمة ما تطيب معه المعاشرة او تستقيم به المعاملة .
فمعاملة الانسان لربه ومعاملته لابويهها لا جرم مظهر اخلاقه وصراته نفسه .

وانما اقتضى نظام الدنيا ان يكلف الانسان بالاحسان الى ذوى قرابته والى اليتامى والمساكين لان الله تعالى هو المنعم المتفضل فاذا احرز المرء مالا موفورا وسلطانا واسما اوجاها عريضا فان ذلك من فضل الله عليه لا بجولة وقوته . يفقه ذلك كل من وهبه الله شيئا من العقل ولذا نجد النفوس تتطلع الى الانتفاع بشئ ممالدى الاغنياء واصحاب الجاه من تلك المواهب الالهية . واذا كان المرء قليلا بنفسه كثيرا بغيره فاذا يفتى الممال صاحبها اذا انقبضت يده عن البذل وتنفيس كربة ذوى الكربة .

ان صاحب النعمة محسود ومن نتائج الحسد محاولة الحاسد سلب النعمة المحسود عليها صاحبها او الحاق الاذى بصاحب النعمة حتى يسود الى مستوى الحاسدين له من اقاربه وجيرانه وامثالهم من سائر الفقراء والمساكين . ولكم من مكيدة دبرت للايقاع بالبخلاء الاشحة فسلبتهم كنوزهم المخبوءة وحرمتهم لذة الحياة بما اصابهم من القلق وشغل الفكر وجنة الحرص على ما بيديهم .

يضمن الرجل بنعمة الله فيقل انصاره وينفض من حوله اقاربه ويندو من يشفق عليه في نكباته او يواسيه في بأسائه . ولكم رأينا من بخيل يصيبه المرض او تنزل به المصيبة فلا يكاد يجد من اهله وعشيرته من يواسيه او يسنيه او يتوجع عليه . فاذا يفتى عن هؤلاء مالهم ولو كان ملء الارض ثم كيف تكون حياتهم اذا حفت بمكايد الكاثرين واصبح كل هم ان يعيش سليما من الوقوع فيما ينصب له من الاشرار والا حابيل . الا ان الموت خير من حياة كهذه .

لا ينعم صاحبها بلذة الطمأنينة والسكينة ولا تقوى شوكته بالانصار والاولياء من ذوى قرابته ورحمه ولا تبجح نفسه برؤية آثار نعمة الله عليه . ان حياة الاشحة على اقربائهم تكاد تكون عذابا لهم وجحما عليهم لارحمة من الله بهم واحسانا منه لهم . لذلك كان من وسائل الحياة الطيبة ان يستكثر الانسان من الانصار والاعوان والخلان بما تقدمه يده اليهم من فضل نعم الله عليه واحسانه اليه .

واذا ازلت تلك الآيات في نبي اسرائيل فقد اصر الله هذه الامة بنظير ذلك في سورة النساء فقال (وعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين والجاردى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وماملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا)

اما القول الحسن فانه خير ما يتحلى به الانسان في سائر مجادلاته ومحاوراته وجميع مطالبه ومحادثاته . ذلك ان الغلظة في القول والاختسان في الدعوة والنصح مصدر لبغض القائل ومثار للنفور من الداعى والناصح . ولا جرم ان الغلظة والقسوة والخشونة لا تستقيم بها شئون الدنيا ولا تنظم معها المعاملات

ولولا ان اللين وحسن القول مفتاح النجاح في الاعمال لما ندب الله اليه حتى في مخاطبة اهل الكفر ومحاورات الطاغين من المشركين قال تعالى لموسى وهرون (اذهبا الى فرعون انه طغى فقولالا له قولا لينا لعلنا نذكره او يخشى) وقال لرسوله المصطفى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي احسن) وقال (ادفع بالتى هي احسن فاذا الذى

بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) وقال في ارشاد المسلمين الى امثل الطرق في معاملة المشركين السفهاء (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم)

وقال الفخر الرازي (١) قال اهل التحقيق كلام الناس مع الناس اما ان يكون في الامور الدينية او في الامور الدنيوية فالاول دعوة الكفار الى الايمان أو الخاطئين من كل صنف الى الصواب فاما لدعوة الى الايمان فلا بد ان تكون بالقول الحسن كما نصح الله موسى وهرون بقوله (فقولوا له قولا لينا) امرها الله بالرفق على فرعون مع جلالتهما ونهاية كفر فرعون وتمرده وعتوه على الله تعالى . وقال لمحمد (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)

وكذلك يتخذ الانسان من القول في مخاطبة غيره أحسنه قال تعالى (ادع الى سبيل ربك الآية) واما في الامور الدنيوية فمن المعلوم بالضرورة انه اذا امكن التوصل الى الغرض باللين واللطف من القول لم يحسن سواء . انتهى بتصرف .

(١) صفحة ٤٢٣ جزء اول .

عبد العزيز چاويش

— (ابن رشد وتعاليمه) —

— § ٢ § —

— { الآراء والتعاليم } —

— ❦ الفلسفة والشريعة ❦ —

لقد قام ببلاد الاسلام نفر حققوا على الفلسفة وعلى المشتغلين بها غير ان هؤلاء لم يدعوا آراءهم بالبرهان بل سلكوا طرقا أعتمتهم عن الحق وأبعدتهم عن سبيل الهدى ويمكن حصر الطوائف التي عادت الفلسفة وأهلها في ثلاث

(١) طائفة الفقهاء . جل هذه الطائفة لم يشتغل بالفلسفة ولم يعرف من أصولها ما يبررله هذا العداء وانما ابغضوا الفلاسفة لمخالفتهم لهم في كثير من العقائد زعموا انها أصل الدين فمخالفتها كفر واتحاد غيرها زندقة ولو انهم ثابوا الى عقولهم لعلموا انهم في زعمهم واهمون ومخالفة الفلاسفة لهم الا بمخالفة الكرامة للمعتزلة والاشاعرة لما تريديتنا واننا نترك هذه الطائفة تتخبط في جهلها فانها لا تخضع لحق ولا تحترم رأيا

(٢) الطائفة الثانية اشتغلت بالفلسفة وعرفت كثيرا من مبادئها واصولها غير انها لم ترجع الى كتب القوم انفسهم بل اعتمدت في نقلها وردها على كتب ابن سينا وابن نصر الفارابي اللذين كثيرا ما خالفوا القدمين وذهبوا الى غير مذهبوا . وهؤلاء لم يكفروا الفلاسفة

الا في مسائل معدودة سنتكلم فيها بعد ولقد كان الاجدر بهؤلاء ان يرجعوا الى كتب القدماء قبل أن ينبروا للرد عليهم . ومن هذه الطائفة الامام الغزالي قال في كتابه تهافت الفلاسفة

اناسنتصر على اظهار التناقض في رأى مقدمهم الفيلسوف المطاق والمعلم أرسطو فانه رتب علومهم وهذبها بزعمهم وحذف الحشو من آرائهم وانتقى ماهو الاقرب الى اصول أهوائهم وقدرد على كل من كان قبله حتى على استاذة افلاطون ثم اعتذر عن مخالفته له بأن افلاطون صديق والحق صديق الا ان الحق اصدق منه وانما تقلنا هذه الحساية ليعلم ان لا ثبت ولا ايقان لمذهبهم عندهم وانهم يحكمون بظن وتخمين من غير تحقيق ويقين ويستدلون على صدق علومهم الالهية بظهور العلوم الحسائية والمنطقية ويستدرجون به ضعفاء العقول ولو كانت علومهم الالهية متقنة البراهين نقية عن التخمين كعلومهم الحسائية والمنطقية ما اختلفوا فيها كما لم يختلفوا في العلوم الحسائية ثم المترجمون لكلام ارسطو لم ينفك كلامهم عن تحريف وتبديل محوج الى تفسير وتأويل حتى أثار ذلك ايضا نزاعا بينهم واقوامهم بالنقل والتخمين من المتفلسفة الاسلامية ابى نصر الفارابي وابن سينا فلنقتصر على ابطال ما اختاره ورأياه الصحيح من مذاهب رؤسائهم في الضلال فان ما هجره واستكفاه من المتابعة فيه لا يمارى في اختلاله ولا يفتقر الى نظر طويل في ابطاله فليعلم انا مقتضرون على رد مذهبهم بحسب نقل هذين الرجلين

الطائفة الثالثة — اشتغلت بالفلسفة واحاطت بكثير من فروعها الا انها قد غفلت عن كثير من الاصول لهذا تراها تعترض على بعض الاصول غافلة عن البعض الآخر ومن هذه الطائفة ابن خلدون قال في مقدمته:

ان ضرر هذه العلوم في الدين كثير فوجب ان يصمدع بشأنها ويكشف عن المعتقد فيها وذلك ان قوما من عقلاء النوع الانساني زعموا ان الوجود كله الحسى منه وما وراء الحس تدرك ذواته واحواله بالانظار الفكرية والاقيسة العقلية كأن تصحيح العقائد اليمانية من قبل النظر لا من جهة السمع فانها بعض من مدارك العقل وقد بحثوا عن ذلك وشروا له وحوا على الاصابة منه ووضعوا قانونا يهتدى به العقل في نظره الى التمييز بين الحق والباطل وسموه بالمنطق وقد زعموا ان السعادة في ادراك الموجودات كلها ما في الحس وما وراء الحس بهذا النظر وتلك البراهين وان الجهل بذلك هو الشقاء السرمدى . وامام هذه المذاهب الذى حصل مسائلها ودون علمها وسطر حججها ارسطو المقدوني ثم كان من بعده في الاسلام من اضله الله من متحلي هذه العلوم فأخذوا بتلك المذاهب واتبعوا فيها رأيه الا في القليل وكان من اشهرهم ابو نصر الفارابي في المائة الرابعة لعهد سيف الدولة وابو على ابن سينا في المائة الخامسة لعهد نظام الملك بن بويه بأصبهان . فهذه الطوائف على اختلاف آرائها قد اتفقت على انه لا اتصال بين الشريعة والفلسفة والاشتغال بها مضر غير ان ابا الوليد بن رشد لم يلتفت الى هذه الآراء ولم يأبه لقائلها فبحث حتى وصل الى الاتصال المتين بين الشريعة والفلسفة وذهب الى ان الاشتغال بها وعلوم المنطق من الواجبات التي

طالب بها الشرع وهذه المسألة من المسائل التي لم يسبق إليها بن رشد فهي
من بنات افكاره وحسبنا ان نلخص رسائله التي كتبها في هذه المسألة.
الحكمة او الفلسفة النظر في احوال الموجودات على ما هي عليه بقدر
الطاقة البشرية فالفيلسوف لا يشتغل بشيء أكثر من النظر في الموجودات
من جهة دلالتها على اصانع فان الموجودات انما تدل على الصانع لمعرفة
صنعها فكلما كانت المعرفة بصنعها اتم كانت المعرفة بالصانع اكمل
واذا كان الشارع قد طلب منا اعتبار الموجودات وحث على التدبر في
دقائقها فذلك قد يكون منه على سبيل الوجوب او على طريق النذب اليه
فاما ان الشرع قد حث على اعتبار الموجودات بالعقل وطلب معرفتها به
فذلك بين في غير ما آية من لقرآن مثل قوله تعالى (فاعتبروا يا اولي الابصار)
وهذا نص على وجوب استعمال القياس العقلي او العقلي والشرعي معا
ومثل قوله تعالى (اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله
من شيء) وهذا النص بالحث على النظر في جميع الموجودات وقال تعالى
(افلا ينظرون الى الا بل كيف خلقت و الى السماء كيف رفعت) وقال
(ويتفكرون في خالق السموات والارض) الى غير ذلك من الآيات
واذا تقرر ان الشرع قد اوجب النظر بالعقل في الموجودات واعتبارها
وكان الاعتبار لپس شيئا أكثر من استنباط المجهول واستخراجه منه
وهذا هو القياس فواجب ان نجعل نظرا في الموجودات بالقياس العقلي
وبين ان هذا النحو من النظر الذي دعا اليه الشرع وحث عليه هو اتم انواع القياس
واذا كان الشرع قد حث على معرفة الله تعالى وموجوداته بالبرهان كان

الافضل لمن اراد ان يعلم الله وسائر الموجودات بالبرهان ان يتقدم اولا
فيعلم انواع البراهين وشروطها وبما ذا يخالف القياس البرهاني القياس
الجدلي والقياس الخطابي والقياس المغالطي ولا يمكن ذلك دون ان
يتقدم فيعرف قبل ذلك القياس المطلق وكم انواعه وما منها قياس وما
ليس بقياس وذلك لا يمكن ايضا دون ان يتقدم فيعرف اجزاء القياس
اعني المقدمات وانواعها . اذن يجب على المؤمن بالشرع ان يتقدم قبل
النظر في الموجودات فيعرف هذه الاشياء التي تنزل من النظر منزلة
الآلات من العمل فكما ان الفقيه يستنبط من الامر بالتفقه في الاحكام
الفقهية على وجوب معرفة المقاييس وانواعها كذلك يجب على العارف
ان يستنبط من الامر بالنظر في الموجودات وجوب معرفته القياس وانواعه
بل هو احرى بذلك لانه اذا كان الفقيه يستنبط من قوله تعالى (فاعتبروا
يا اولي الابصار) وجوب معرفة القياس الفقهي فبالحرى ان يستنبط
من ذلك العارف بالله وجوب معرفة القياس العقلي
واذا تقرر ذلك ولم يكن احد ممن قبلنا لم يتقدم بالفحص عن القياس
العقلي وانواعه وجب علينا ان نبتيء بالفحص عنه وان يستعين في ذلك
المتقدم بالمتأخر حتى تكمل المعرفة فانه عسر او غير ممكن ان يقف واحد من
الناس من تلقائه على جميع ما يحتاج اليه من معرفة انواع القياس الفقهي
بل معرفة القياس العقلي احرى بذلك وان كان غيرنا قد فحص عن
ذلك فبين انه يجب علينا ان نستعين على ما نحن بسبيله بما وصل اليه من
تقدمنا في ذلك سواء كان المتقدم مشاركالنا في الملة او غير مشارك فان الآلة

التي بها تصح التذكية ليس يعتبر في صحة التذكية بها كونها آلة لمشارك لنا في الملة او غير مشارك اذا كانت فيها شروط الصحة

واذا كان الامر هكذا وكان كل ما يحتاج اليه من النظر في امير المقاييس العقلية قد فحص عنه القدماء اتم فحص فقد ينبغي ان نضرب بايدينا الى كتبهم فننظر فيما قالوه من ذلك فان كان كله صوابا قبلناه منهم وان كان فيه ما ليس بصواب نهنا عليه فاذا فرغنا من هذا الجنس من النظر وحصلت عندنا الآلات التي بها تقدر على الاعتبار في الموجودات ودلالة الصنعة فيها فقد يجب ان نشرع في الفحص عن الموجودات على الترتيب والنحو الذي استفدناه من صناعة المعرفة بالمقاييس البرهانية وتبين ايضا ان هذا الفرع انما يتم في الموجودات بالفحص عنها واحد بعد واحد وان يستعين في ذلك المتأخر بالمقدم على مثال ما عرض في علوم التعاليم . فانه لو فرضنا ان صناعة الهندسة في وقتنا هذا معدومة وكذلك صناعة الهيئة ورام انسان من تلقاء نفسه ان يدرك مقادير الاجرام السماوية واشكالها وابعاد بعضها ما امكنه ذلك ولو كان اذكي الناس طبعاً الابوحى اوشبهه وحى بل لو قيل له ان الشمس اعظم من الارض بنحو مائة وخمسين ضعفاً اوستين لعد هذا القول هذياناً او خرافاً من قائله وهذا شئ قد قام عليه البرهان في علم الهيئة حتى اصبح من الاوليات . ولورام انسان اليوم ان يقف من تلقاء نفسه على جميع الحجج التي استنبطها النظار من اهل المذاهب في مسائل الخلاف التي وضعت المناظرة فيها بينهم في اكثر بلاد الاسلام كان اهلاً ان يضحك منه ليكون هذا ممتنعاً وهذا امر بين بنفسه

ليس في الصنائع العملية فقط بل وفي العلمية فانه ايضا ليس منها صناعة يقدر ان ينشئها واحد بعينه فكيف بصناعة الصنائع وهي الحكمة

واذا تقرر ذلك وجب علينا ان الفينا لمن تقدمنا من الامم السالفة نظراً في الموجودات بحسب ما اقتضته شرائط البرهان ان ننظر في الذي قرروه من ذلك وما اثبتوه في كتبهم فما كان منها موافقاً للحق قبلناه منهم وشكرناهم عليه وما كان منها غير موافق للحق نهنا عليه وحذرنا منه

فقد تبين من هذا ان النظر في كتب القدماء واجب بالشرع اذ مغزاهم في كتبهم ومقصدهم هو المقصد الذي حثنا الشرع عليه وان من نهى عن النظر فيها من كان أهلاً للنظر بأن كان ذكياً الفطرة عنده العدالة الشرعية والفضيلة العلمية والخليفة فقد صد الناس عن الباب الذي دعا الشرع الناس الى معرفة الله بولوجه وهو باب النظر الى معرفة الصانع حق المعرفة وان ذلك غاية الجهل والبعد عن الله تعالى وليس يلزم من أنه اذا غوى غاو بالنظر فيها اوزل زال من قبل فطرته او من قبل سوء ترتيب نظره فيها او من قبل غلبة شهواته عليه او انه لم يجد معلماً يرشده الى فهم ما فيها او من قبل اجتماع هذه الاسباب فيه ان ننمها عن الذي هو أهل للنظر فيها فان هذا النحو من الضرر شئ لحقها بالعرض لا بالذات . وليس يجب فيما كان نافعاً بطباعه وذاته ان يترك لمكان مضره موجودة فيه بالعرض ولذلك قال عليه السلام للذي أمره يسقى العسل أخاه لاسهال كان فيه فترايد الاسهال لما سقاه العسل

وشكا اليه « صدق الله وكذب بطن أخيك » وان مثل من منع النظر في كتب الحكمة من هو أهل له من أجل ان قوما من أراذل الناس قد يظن بهم أنهم ضلوا من قبل نظرهم فيها مثل من منع العطشان شرب الماء البارد العذب حتى مات لان قوما شرقوا به فماتوا فان الموت من الماء بالشرق أمر عارض وعن العطش ضرورى وذووى

وهذا الذى عرض لهذه الصناعة قد عرض لغيرها من الصنائع فكيف من فقيه كان الفقه سببا لقلة تورعه وخفضه في الدنيا بل اكثر الفقهاء هكذا نجدهم قد حادوا عن الصراط السوى واشتروا بآيات الله ثمنا قليلا مع ان صناعتهم انما تقتضى بالذات الفضيلة العملية فاذا لا يلزم ان يعرض في الصناعة التى تقتضى الفضيلة العملية ما عرض في الصناعة التى تقتضى الفضيلة العلمية واذا تقرر هذا كله وكنا نعتقد معشر المسلمين ان شريعتنا الالهية حق وانها هى التى نهت على هذه السعادة التى هى المعرفة بالله وبمخلوقاته ودعت اليها وان ذلك متقرر عند كل مسلم من الطريق الذى اقتضته جبلته وطبيعته من التصديق وذلك ان طبائع الناس مختلفة فمنهم من لا يصدق الا بالبرهان ومنهم من يصدق بالاقاويل الجدلية . تصديق صاحب البرهان ومنهم من يصدق بالاقاويل الخطائية والشريعة الاسلامية لما دعت الناس من هذه الطرق اثلاث عم التصديق بها كل انسان الا من يجدها عنادا او استكبارا ولم تتقرر عنده طرق الدعاء لها الى الله تعالى لاغفاله ذلك من نفسه واذا كانت الشرائع حقا وداعية الى النظر المؤدى الى معرفة الحق فانا معشر المسلمين نعم على القطع انه لا يؤدى

النظر البرهاني الى مخالفة ماورد به الشرع فان الحق لا يضاد الحق بل يوافقوه ويشهد له . واذا تقرر ذلك فان ادى النظر البرهاني الى نحو ما من المعرفة بوجود ما فاما ان يكون الشرع سكت عنه أو نطق به فان كان مما قد سكت عنه الشرع فلا تعارض هناك وهو بمنزلة ما سكت عنه من الاحكام الجزئية فاستنبطها الفقيه بالقياس الشرعى . واذا كانت الشريعة نطقت به فان كان ظاهر النطق موافقا لما ادى اليه البرهان فلا قول هناك وان كان مخالفا طلب تأويله اى اخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية الى الدلالة التجارية بدون ان يخل ذلك بعادة العرب في التجوز واذا كان الفقيه صاحب القياس الظنى قد فعل ذلك في كثير من الاحكام الشرعية فبالاخرى ان يفعل ذلك صاحب العلم الالهى بالبرهان وانا نقطع ان كل ما ادى اليه البرهان وخالفه ظاهر الشرع ان ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التجوز العربى وهذه القضية لا يشك فيها مسلم ولا يرتاب فيها مؤمن . وما اعظم ازدياد اليقين بها عند من زاول هذا المعنى وجربه وقصده هذا القصد من الجمع بين المنقول والعقول . ولهذا المعنى أجمع المسلمون على انه ليس يجب ان تحمل الفاظ الشرع كلها على ظاهرها ولا ان تخرج كلها من ظاهرها بالتأويل واختلفوا في المؤول منها وغير المؤول فالاشعيرون يتأولون آية الاستواء وحديث النزول والخبايلة تحمل ذلك على ظاهره والسبب في ورود الشرع فيه المظاهر والحقى اختلاف انظار الناس وتباين قرائنهم في التصديق . والسبب في ورود المظواهر

المتعارضة تنبيه الراسخين في العلم على التأويل الجامع بينهما (١) (هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم)

فان قال قائل ان في الشرع اشیاء اجمع المسلمون على حملها على ظاهرها واشياء اجمعوا على تأويلها واشياء قد اختلفوا فيها فهل يؤدي البرهان الى تأويل ما اجمعوا على ظاهره او ظاهر ما اجمعوا على تأويله . قلنا ان الاجماع اذا ثبت بطريق يقيني لم يصح وان كان الاجماع فيها ظنياً فقد يصح ذلك قال العزالي وابو المعالي وغيرهما انه لا يقطع بكفر من خرق الاجماع بالتأويل في امثال هذه الامور . وقد يدلك على ان الاجماع لا يتقرر في النظريات بطريق يقيني كما يمكن ان يتقرر في العمليات انه ليس يمكن ان يتقرر الاجماع في مسألة ما في عصر ما الا بأن يكون ذلك العصر محصوراً أو العلماء الموجودون فيه معلومين عندنا اعني معلوماً أشخاصهم ومبلغ عددهم وأن ينقل اليها مذهب كل واحد منهم في المسألة نقل تواتر ويكون مع هذا كله قد صح عندنا ان العلماء الموجودين في ذلك الزمان متفقون على انه ليس في الشرع ظاهر وباطن وأن العلم بكل مسألة يجب ألا يكتسب عن احد وأن الناس طريقهم واحد في علم الشريعة أما كثير من المصدر الاول قد نقل عنهم انهم

(١) قد عثرنا على رساله نفيسة الفها احد علماء الاسلام في رد التشابه الى

كانوا يرون ان للشرع باطنا وظاهراً وانه ليس يجب ان يعلم بالباطن من ليس من اهل العلم به ولا يقدر على فهمه وذلك مثل ما رواه البخاري عن علي رضي الله عنه انه قال (حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون ان يكذب الله ورسوله) فكيف يتصور بعد ذلك اجماع منقول اليها عن مسألة من المسائل النظرية ونحن نعلم قطعاً انه لا يخلو عصر من العصور من علماء يرون ان في الشرع اشیاء لا ينبغي ان يعلم بحقيقتها جميع الناس على السواء وذلك بخلاف ما عرض في العمليات فان الناس كلهم يرون افشائها لجميع الناس ويكفي حصول الاجماع بان تنتشر المسألة فلا ينقل اليها فيها خلاف فان هذا القدر كاف في حصول الاجماع في العمليات .

وقد بان من قولنا فيما مر انه ليس يمكن ان يتقرر اجماع في امثال هذه المسائل النظرية ان ههنا تأويلات لا يجب ان يفصح بها الا لمن هو من اهل التأويل وهم الراسخون في العلم لأن الظاهر الوقف على قوله والراسخون في العلم لأنه اذا لم يكن اهل العلم يعلمون التأويل لم تكن عندهم مزية تصديق توجب لهم من الايمان به مالا يوجد عند غير اهل العلم وقد وصفهم الله تعالى بأنهم المؤمنون وهذا انما يحمل على الايمان الذي يكون من قبل البرهان وهذا لا يكون الا مع العلم بالتأويل فان غير اهل العلم من المؤمنين هم اهل الايمان بها لا من قبل البرهان فان كان الايمان الذي وصف الله به اهل العلم خاصاً بهم فانه يجب أن يكون بالبرهان واذا كان بالبرهان فلا يكون الا مع علم التأويل لان الله تعالى قد أخبر ان هنالك تأويلاً هو الحقيقة والبرهان واذا كان كذلك فلا يمكن أن يتقرر في التأويلات التي خص الله بها العلماء اجماع مستفيض . وهذا بين عند من انصف

وان المختلفين في هذه المسائل العويصة اما مصيرون مأجورون و اما
مخطئون معذورون فان التصديق بالشيء من قبل الدليل القائم في النفس
اضطراري لا اختيار للمرء فيه فليس له ان يصدق والا يصدق كما له ان
يقوم والا يقوم واذ كان من شرط التكليف الاختيار فان المصدق
بالخطأ من قبل شبهة عرضت له اذا كان من اهل العلم معذور ولذلك
قال عليه السلام اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله اجران وان اخطأ فله
اجر وای حاكم اعظم من الذي يحكم بانه كذا او ليس بكذا . وهذا
الخطأ المصفوح عنه في الشرع انما هو الخطأ الذي يقع من العلماء اذا
نظروا في الاشياء العويصة التي كفهم الشرع بالنظر فيها اما الخطأ الذي
يقع من غير هذا الصنف من الناس فهو آثم محض سواء كان الخطأ
في الامور النظرية ام العملية فكما ان الحاكم الجاهل بالسنة اذا اخطأ
في الحكم لم يكن معذورا كذلك الحاكم على الموجودات اذا لم توجد
فيه شروط الحكم فليس بمعذور بل هو اما آثم واما كافر واذ كان
يشترط في الحاكم في الحلال والحرام ان تجمع له اسباب الاجتهاد
فبالاخرى ان يشترط ذلك في الحاكم على الموجودات فالخطأ في الشرع
على ضربين اما خطأ يعذر فيه من هو من اهل النظر في ذلك الشيء
الذي وقع فيه الخطأ كما يعذر الطبيب الماهر اذا اخطأ في صناعة
الطب ولا يعذر فيه من ليس من اهل ذلك الشأن . واما خطأ
ليس يعذر فيه احد من الناس بل ان وقع في اصول الشريعة فهو
كفر وان وقع فيما بعد المبادئ فهو بدعة وكذلك الخطأ الذي يكون
في الاشياء التي يتوصل الى معرفتها جميع الناس مثل الاقرار بالله

وبالنبوت وبالسعادة الاخرية وذلك ان هذه الاصول الثلاثة
يؤدي اليها اصناف الدلائل الثلاثة التي لا يعرى احد من الناس عن
وقوع التصديق له من قبلها اعني الدلائل الخطابية والجدلية والبرهانية
فالجاحد لا مثال هذه الاشياء اذا كانت اصلا من اصول الشرع كافر
مماند بلسانه دون قلبه او بغفلته عن التعرض الى معرفة دليلها لانه ان
كان من اهل البرهان فقد جعل له سبيل الى التصديق بها بالبرهان وان
كان من اهل الجدل فبما لجل وان كان من اهل الموعظة فبالموعظة ولذلك
قال عليه السلام (امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله
هو يؤمنوا بي) يريد بأى طريق اتفق لهم من طرق الايمان الثلاث
واما الاشياء التي لحقها لا تعلم الا بالبرهان فقد تطف الله فيها
لعباد الذين لا سبيل لهم الى البرهان امامن قبل نظرهم وامامن قبل عادتهم
وامامن قبل عدمهم اسباب التعلم بأن ضرب لهم امثالها واشباهها ودعاهم
الى التصديق بتلك الامثال اذا كانت تلك الامثال يمكن ان يقع التصديق
بها بالادلة المشتركة للجميع اعني الجدلية والخطابية وهذا هو السبب في ان
الشرع انقسم الى ظاهر وباطن فان الظاهر هو تلك الامثال المضروبة لتلك
المعاني والباطن هو تلك المعاني التي لا تتجلى الا لاهل البرهان
وها هنا صنف ثالث من الشرع يقع فيه شك فيلحقه قوم ممن يتعاطى
النظر بالظاهر الذي لا يجوز تأويله ويلحقه قوم بالباطن الذي لا يجوز حمله
على الظاهر للعلماء وذلك لغواسة هذا الصنف واشتباهاه والمخطيء في هذا
معذور اذا كان من العلماء اذا اشرع على ثلاث مراتب فن اي هذه المراتب
مما جاء في صفات المعاند وحواله. الظاهر انها من الصنف المختلف فيه وذلك

اننا نرى قوما ينسبون انفسهم الى البرهان يقولون يجب حملها على الظاهر كأن
ليس هاهنا برهان يؤدي الى استحالة الظاهر فيها وهذه طريقة الاشعرية وقوم
آخرون ممن يتعاطى البرهان يتأولونها وهؤلاء يختلفون في تأويلها اختلافاً كثيراً
و من هذا الصنف الغزالي وكثير من المتصوفة ومنهم من يجمع فيها
التأويل كما يفعل ذلك الغزالي في بعض كتبه ويشبه ان يكون المخطئ في هذه
المسألة من العلماء معذوراً والمصيب مشكوراً وذلك اذا اعترف بالوجود
وتأول فيها نحواً من انحاء التأويل واما من كان من غير اهل العلم فالواجب
حملها على الظاهر وتأويلها في حقه كفر . فمن كان فرضه الايمان بالظاهر
فالتأويل في حقه كفر لانه يؤدي اليه فن افشاده من اهل التأويل فقد
دعاه الى الكفر والداعي الى الكفر كافر . ولهذا يجب الاتثبت التأويلات
الا في كتب البراهين حتى لا يصل اليها الا من كان من اهل البرهان . اما
اذا ثبتت في غير كتب البرهان واستعمل فيها الطرق الشرعية والخطابية
الجدلية فان ذلك يكون خطأ على الشريعة وعلى الحكمة .
فقد بان انه ليس يجب ان تثبت التأويلات الصحيحة في الكتب
الجمهوريّة فضلاً عن الفلسفة فانها مدعاة لتضليل الناس . والتأويل الصحيح
هو الامانة التي حملها الانسان واني ان حملها واشفق منها جميع الموجودات
من قبل هذه التأويلات والظن بانها يجب ان يصرح بها في الشرع نشأت
فرق الاسلام حتى كفر بعضهم ببعضاً وبدع بعضهم بعضاً فآلوت المعتزلة آيات
كثيرة واحاديث عديدة وصرحوا بتأويلهم للجمهور وكذلك فعلت
الاشعرية وان كانوا اقل تأويلاً فوقعوا الناس من قبل ذلك في شتات
وتباغض وحروب وصزقوا الشرع وفرقوا الناس كل التفريق اضعف الى

ذلك ان طرقهم اتى سلكوها في اثبات تأويلاتهم ليسوا فيها مع الجمهور
ولا مع الخواص لكونها اذا تؤملت ناقصة عن شرائط البرهان . ولقد بلغ
الحق من بعض الاشعرية ان زعموا ان من لم يعرف الله بالطرق التي
وضعوها لمعرفته في كتبهم كافر . ومن هنا اختلفوا في اول الواجبات فقال قوم
النظر . وقال قوم الايمان . وسبب هذا الاختلاف انهم لم يعرفوا الى الطرق
هي الطرق المشتركة للجميع التي دعا الشرع من ابوابها جميع الناس وظنوا
ان ذلك طريق واحد فأخطأوا مقصد الشارع وضلوا واضلوا
فان قيل فاذا لم تكن الطرق التي سلكها الاشعريون وغيرهم من اهل
النظر هي الطرق المشتركة الى قصد الشارع لتعليم الجمهور فأى الطرق
هي هذه الطريق في شريعتنا

قلنا هي الطرق التي تثبت في الكتاب العزيز فان القرآن اذا تؤملت
وجدت فيه الطرق الثلاث الموجودة لجميع الناس والطرق المشتركة لتعليم
اكثر الناس والخاصة واذا تؤملت الامر فيها ظهر انه ليس يافى مشتركا
لتعليم الجمهور افضل منها فمن صرفها بتأويل لا يكون ظاهراً بنفسه او اظهر
منها للجميع فقد ابطل حكمتهما وابطل فعلها المقصود في افادة السعادة الانسانية
وذلك ظاهر جداً من حال الصدر الاول وحال من اتى بعدهم فان الصدر
الاول انما صار الى الفضيلة الكاملة والتقوى باستعمال هذه الاقوال دون
تأويلات فيها ومن كان منهم وقف على تأويل لم ير انه يصرح به
واما من بعدهم فانهم لما استعملوا التأويل قلت تقواهم وكثر اختلافهم
وارتفعت محبتهم وتفرقوا فرقا . فيجب على من اراد ان يرفع هذه البدعة عن

الشرعية ان يعمد الى الكتاب العزيز فيلتقط منه الاستدلالات الموجودة فيما كلفنا اعتقاده ويجتهد في نظره الى ظاهره ما امكنه من غير ان يتأول من ذلك شيئاً الا اذا كان التأويل ظاهراً بنفسه مشتركاً للجميع فان الاقوال الشرعية المصرح بها في القرآن للجميع لها ثلاث خواص دلت على الاعجاز احداها — انه لا يوجد اتم اقناعاً وتصديقاً للجميع منها — الثانية — انها تقبل النصرة بطبعها الى أن تنتهي الى حد لا يقف على التأويل فيها الا أهل البرهان — الثالثة — انها تتضمن التنبيه لأهل الحق على التأويل الحق وهذا ليس يوجد لا في مذاهب الاشعرية ولا في مذاهب المعتزلة أعني ان تأويلاتهم لا تقبل النصرة ولا تتضمن التنبيه على الحق ولهذا كثرت البدع وتخاصمت الفرق وتفرقت القلوب وتمزق الشرع — سدد الله الجميع ووقفهم الى ما فيه سعادة الاسلام والمسلمين وهدانا الى الصراط القويم

— حافظ وهبه —



— حقيقة الدين —

[للمفضل صاحب الاسم المذيل به المقالة] —

زعموا والزعم في هذه الايام كثير ان الرجل لا يكون خيراً صالحاً ولا مسلماً متورعاً ولا تقياً رشيداً الا اذا صطنع أموراً خاصة وانتحل نخلاً معينة وذهب مذاهب معروفة فابس له ان يابس الا لبوساً خاصاً فيكبر العمامة ويرسل أردان الثوب ويطيلى الاكمام ويمشى مشية المتخضع الذي يتكلف الوقار ويظهر الحرص عليه . وينبغي ان يأخذ في يده مسبحة طويلة كبيرة الحبات ويفرس في عمامته سواكاً طويل القامة ويملاء أنفه من حين الى حين بأوان من السموط ويطلق لسانه من آن الى آن بأنواع من الكلام تكثر فيها القاف وغيرها من الحروف الضخمة اللخمة . فكل هذه أمور لازمة وصفات ضرورية هي مقومات العلم والدين فليس لمسلم صالح أن يحيد عنها او يتكلف غيرها الا اذا اراد ان يحيد عن السنة ويميل عن العقيدة الطاهرة ويذهب مذهب الملحدين .

قالوا : ولا بد من التردد على مقابر الاولياء ومشاهد الصالحين والطواف بها والوقوف عليها واطهار الحشية والرهبة لها والتقرب الى الله عز وجل ببركة سكانها ومن حاد عن ذلك فقد اختار الاولى على الآخرة وآثر الباطل على الحق ورغب الى الدنيا عن الدين .

قالوا : ولا بد مع ذلك من الاحتفاظ بعقائد السلف وعادات الاولين والابتعاد عن استحداث الامر الصالح . والسنة النافعة وعن الجهر بالرأى والتصریح بذات النفس وعن القول في العلم والدين بما لم يقله قائل ولم يذهب اليه ذاهب فان ذلك ادنى الى حسن العاقبة واخلاق بمن يريد ان يلتقي الله بنفس بريئة وقلب سليم . ذلك هو القانون الذي رسموه واوجبوا على المسلم الصالح ان يتبعه ويحرص عليه ليسلم له دينه وتصح له عقيدته ويأمن من حر النار وعذاب الجحيم وقد رأوا ان العدول عنه والتبديل فيه نوع من الشرك وضرب من الزندقة وطائف من المروق .

بذلك انطلقت السنتهم وفاظت فنياتهم وعليه دلت اعمالهم وبرهنت اطوارهم فلنبحث الآن عن نصيبه من الحق وحظه من الصواب وليكن بحثنا في هذا الفصل

بجملًا موجزًا لننتبه فيما بعد بفصول ضافية متصلة نشرح فيها حقيقة العقائد الدينية لتهتدى اليها الامة ويظهر عليها الجمهور .

لانفهم للدين معنى يقصد اليه اكثر من هداية النفوس الى ما يصلح امرها في الآخرة والاولى فان الانسان اجتماعي بطبعه مدني بفطرته نزاع الى ايشار نفسه بالصالحات واختصاصها بالطيبات وذلك مؤدلا بحالة الى اختلاف الاهواء واقتراق الآراء وتباين المذاهب والاغراض فقد تتعارض المصالح وتتنا في المنافع فيدعو ذلك الى اضطغان الصدور وامتلاء القلوب بالوجدة والبغض وذلك مصدر فساد في الارض يعقبه سفك للدماء المحرمة واهدار للنفوس المعصومة وقطع لئاواصر المودة والالفة بين الناس وهدم لصروح الحضارة والعمران فلا بد من حاكم حازم وسلطان رشيد يحكم بين الناس بالقسط ويرد عادية القوى الظالم عن الضيف المظلوم ويصرف الافناء والجماعات الى العمل الصالح والرغبة في الخير والمنفعة العامة . ثم ان مما لا شك فيه ان لكل عمل من اعمال الانسان اثرًا حسنًا أو سيئًا ونتيجة محمودة او مرذولة كما ان له مقدمة وعلة واقصى مالا اعمال الانسان من النتائج والآثار هو ما يلقاه بعد الموت من خير او شر ومن نعيم او جحيم وذلك كله يقتضى ان هناك مصرفا للامور ومسيرا للعالم ومثيبا بالחסنات ومعاقبا على السيئات ومسيطرًا على النفوس ومستأثرا بالقلوب فلا بد للانسان من مرشد الى هذا كله ودال عليه لان عقله لا يستقل بالوصول الى حقيقته ولئن استطاع ان يعلم ظاهرا من الحياة الدنيا فانه لن يستطيع ان يعلم قليلا من امر الآخرة لانقطاع الاسباب بينها وبين العقل . وقد امنت الله على الانسان فأرشده الى كل ذلك بمن ارسل اليه من رسل وما انزل عليهم من كتب وما شرع لهم من دين . فليس لأحد ان يذهب في فهم الدين غير هذا المذهب او ينحو غير هذا النحو او يسلك غير هذه السبيل لالاّنا نحجر على الرأى او نستبد في النظر بل لان ذلك هو الحق الواضح الذى ينطق به الدين وينادى عليه (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل .) وما ارسلناك الا رحمة للعالمين (كتابا انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد)

هذه آيات الكتاب تاطقة بأن الله لم ينزل كتبه ولم يشرع دينه الا لهداية القلوب وارشاد الناس الى منافهم في الدنيا والآخرة وقد احل لهم فيه الحلال وحرم عليهم الحرام ومازلهم الحق من الباطل والرشد من النى والحسن من

القيبح فمن بدل فيه او زاد عليه فهو حرى بالاثم خليف بسوء الجزاء . فلنبحث الآن عن هذه الاوضاع المحدثه والاطوار المتبدعة ولننظر اين مصدرها من الدين وهل جاء بها نص ظاهر او مؤول من سنة او كتاب .

نعرف ان ليس في القرآن الكريم آية او سورة ازلت ليسان ما ينبى ان يتخذ الناس من لبوس وان النبي صلى الله عليه وسلم لم يأخذنا بنوع خاص من الثياب او شكل معين من الازياء وانما ترك لنا ذلك لانه لم يبعث ليعلمنا كيف نلبس اثوابنا او نصور اشكالنا وانما بعث ليعلمنا كيف نعبد الله عز وجل وماذا ينبى ان نتخذ الى السعادة فى الدنيا والآخرة من سبيل .

لذلك لم يقيد اصحاب النى صلى الله عليه وسلم انفسهم بزى خاص بل اتخذوا العمائم قبل القنح ولبسوا القلانس بعده واستبدلوا الخيط من الشياى بالازر والأردية واتخذوا القصور الشاحنة فى العراق والشام بل وفى المدينة نفسها وقد تحلى معاوية بالذهب والفضة ولبس الديباج والحرير ولعمري انا لا نسمح ديناً من ان تضيق بما وسع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

نعرف ان الاسلام انما شرع حربا على الوثنية وما حيا لها وعدوا للباطل وقاضيا عليه فهو اظهر وانقى واكرم عنصراً من ان يأمر بتعظيم القبور والانصاب وتقديس الاحجار والاشخاص . وانما الذى ينبى تعظيمه ويجب تقديسه والاذعان لسلطانه هو الله الذى لا اله الا هو قد استأثر بالعزة والسطوة وانفرد بالمعظمة والجلال .

قالوا : لا نعبد هذه القبور والاشخاص ولا نقديسها وانما نتقرب بها الى الله ونشفع بها لديه . ولعمري ما قالوا الا شراً وما ذهبوا الا الى بدع من الامر ومنكر من الباطل . فليس بين الناس وبين الله من سبب ولا وسيلة الا الطاعة الخالصة والانابة البريئة من الشرك والرياء والله عز وجل يقول (ونحن اقرب اليه من جبل الوريد) ويقول (ام اتخذوا من دونه اولياء قاله هو الولى) .

وانما التوسل بالاشخاص والتمثيل بسبيل المشركين به الخارجين عليه الذين انكرت عليهم عبادة الاصنام والتمثيل فقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ومن ذا الذى يتقرب الى الله بشخص لا حول له ولا طول او تمثال لا حس به ولا حياة ثم يمتقد بعد ذلك انه صادق فى دينه مخلص فى ايمانه قد خلصت عقيدته من الشك وتمحضت لليقين .

فمرف ان الاسلام انما شرع محرراً للعقول والآراء مستنقذاً للافراد والجماعات

من الرق الادبي والمادى وهذه المزية احيى الامم ورقى الشعوب فمن اين لهؤلاء
المبتدعة القول بأن الاجتهاد في الدين غي والتصریح بالرأى اثم وايتار المنفعة للمسلمين
مروق ومن قبلنا قد اجتهد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدين
وجهروا بأرائهم واختاروا المصالح للناس لم يتقيدوا بالابالكتاب والسنة وعلى سنتهم
مضى التابعون .

أفكان سلفنا الصالح مبتدعا مارقا كلا وانما هو الحرص على القديم السبي
والتجديد في الباطل المهلك قد انتهى بهم الى ما يقولون ويا ليتهم ذهبوا في هذا
الامر الى شئ يحمل او قالوا فيه مقالة موجزة قابلة للتأويل ولكنهم قد اكثروا
القول وبسطوه وفصلوا الامر ولجوا فيه فزعموا ان دين المرء لا يصح الا اذا قرأ
عقيدة السنوسى التى يعلمها الخليل اطفال الجنة الى غير ذلك مما لا مصدر له الا
الواهام والاباطيل

الآن قد اشرنا اشارة مجملة الى حقيقة الدين وبيننا انه لا يتناول اكثر
من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن زاد على ذلك فيه فقد ضل وأضل
ولنا فيما بعد فصول مبسطة تفصل فيها القول وتبسط فيها الكلام

— طه حسين —

(الهداية) على ذكر ما جاء في المقال السالف في مسألة القبور وتقديسها
يجمل ان تقتطف شيئا عما كتبه الامام ابن تيمية في هذا الموضوع في كتاب منهاج
السنة ليظهر مرمى الشارع الاسلامى ومقاصده البعيدة قال :

قد علم بالاضطرار من دين الاسلام ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر بما
شرعه المبتدعة من اضر المشاهد ولا شرع لامته مناسك عند قبور الانبياء والصالحين
بل هذا من دين المشركين الذين قال الله فيهم (وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا
ودا ولا سواها ولا يغوث ويعوق ونسرا) قال ابن عباس وعقيدة هؤلاء كانوا
قوما صالحين في قوم نوح لما ماتوا وعكفوا على قبورهم فطال عليهم الامل فصوروا
تماثيلهم ثم عبدوهم وقد ثبت عن النبي عليه السلام انه قال لا تجالسوا على القبور
ولا تصلوا اليها وقد ثبت في صحيح مسلم وغيره عن ابى الهياج الاسدى قال قلت لى

على بن ابى طالب رضى الله عنه الا ابعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا ادع قبرا مشرفا الاسوية ولا تمثالا لاطمسته فقرن بين طمس التماثيل وتسوية
القبور المشرفة لازكليهما ذريعة الى الشرك كفى الصحيحين ان ام سلمة وام حبيبة ذكرا
لنبي صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتهما بارض الحبشة وذكرتا للنبي من حسنهما وتصاويرها
فقال ان اولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مساجد وصوروا تلك
التصاوير اولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة فقد ثبت من هذا ان النبي لم يشرع
لامته ان يبنوا على قبر نبي ولا رجل صالح لا من اهل البيت ولا غيره مسجدوا لم يكن
على عهده في الاسلام مشهد مبنى لاعلى قبر نبي ولا غيره بل لما قدم المسلمون الى الشام
غيره مرة ومعهم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن ابى طالب وغيرهم لما قدم
عمر لفتح بيت المقدس ثم لما قدم لوضع الجزية على اهل الذمة لم يكن احدهم يقصد
السفر الى قبر الخليل ولا كان هناك مشهد ثم لم يزل الامر هكذا في خلافة بنى امية
وبنى العباس الى ان ملك النصارى تلك البلاد في اواخر المائة الخامسة فبنوا ذلك
البناء واتخذوه كنيسة ثم لما استنقذ المسلمون منهم تلك الارض اتخذوها من اتخذوها
مسجدا بل كان الصحابة اذا رأوا احدا بنى مسجدا على قبر نهوه عن ذلك وكان
عمر بن الخطاب اذا رآهم يتناوبون مكانا يصلون فيه لكونه موضع بنى نهاهم
عن ذلك ويقول انما هلك من كان قبلكم بالتخاذل آثار انبيائهم مساجد من ادركته
الصلاة فليصل والا فليذهب فهذا وامثاله مما كانوا يحققون به التوحيد الذى ارسل الله
الرسل اليهم ويتبعون في ذلك سنته صلى الله عليه وسلم والاسلام مبنى على اصلين الا
نعبد الا الله وان نعبد بما شرع لا نعبد بالبدع فالتصارى خرجوا عن الاصلين
وكذلك المبتدعون من المسلمين .

(العالم الاسلامي)

— (ماذا اصابه) —

— في العام الفارط —

لم يكده يشهد العام الاسلامي منذ قرون أنحس من هلال شهر محرم مفتاح السنة الفارط فلقد فقد الاسلام في غضونهما مملكتين عظيمتين هما فارس في الشرق ومملكة الادارسة في الغرب كما فقدت الدولة العثمانية ولايتها الافريقييتين كانتا آخر لمة بينها وبين سبعين مليوناً من المسلمين بافريقية.

ولقد كان يكثر بين المسلمين قبل هلال ذلك العام شيء من حسن الظن ببعض دول أوروبا فكانوا يرى قادة الحركة السياسية في مصر يعتقدون في اخلاص فرنسا ويعتمدون على قرارات ساستها حتى قضوا في ذلك عدة اعوام تبين لهم بعدها انهم كانوا يقيمون شواخ آمالهم على ارض من خيوط العنكبوت ويرفعون صروح مشروعاتهم العظيمة على اركان من هواء الفضاء . ولقد كان من الميسور جداً ان يدرك أولئك الزعماء ان فرنسا لا تربطها بمصر ولا المصريين اشتراك في الجنس او الدين او القارة او المصالح السياسية العامة وانما هي دولة لها بين الامة المصرية وعلى حكومتها اموال لا بد لها ان تتمسك بجميع الوسائل التي تصيرها في مأمن من الضياع او الاذى . وما ايسر ان تجد في دولة بريطانيا اعظم كفيل وأحسن حارس . وماذا عسى ان تخسر فرنسا اذا هي اشترت بصدقة المصريين وخلفهم تلك المملكة الواسعة مملكة الادارسة التي تبلغ مساحتها ضعف مساحة مصر والسودان المصري فتستمتع بما بها من مياه غزيرة وارض طيبة وكنوز لم تشفق عنها الارض بعد ثم هي مع ذلك قدانت على مالها في مصر من المصالح المالية وديون الحكومة .

واذا كان مبدأ ذلك الانقلاب عام ١٩٠٤ م فانه لم يحس به تماماً الا في العام الماضي اعني بدخول فرنسا في المغرب الأقصى واغارة ايطاليا على طرابلس الغرب ونبي غازي

ضربنا مثلاً بالامة المصرية فيما سبق من اعتمادها على فرنسا وما هي ببدع في تلك السداجة وسلامة القلب فان الامة الفارسية قد غرته ايضا بروق السياسة وقادتها

تجويهاً للتخادعين من السياسيين الى حيث فقدت استقلالها واصبحت نهياً مقسوما بين انجلترا وروسيا . تبعت حكومة فارس نصائح انجلترا وصدقت ذلك البلاغ الرسمي الذي قدمه اليها عميد بريطانيا العظيم سنة ١٩٠٧ متضمناً ما عقد لذلك العهد بين السير ادوارد جراي ووزير خارجية روسيا من الاتفاق التام على وجوب سلامة بلاد فارس من التقسيم وضرورة بقاء حكومتها حرة سالمة من التدخل الاجنبي وانه ليس لانجلترا ولا لروسيا حق التدخل في شؤون فارس الا فيما يختص بمصالح رعايا دولها في تلك البلاد .

تلقت فارس الدستورية الفتاة ذلك البلاغ الذي انقلب غشاوة كسيفة على ابصار رجالها السنج الحسلان الظن فلم يبصروا ما كان يدبر لهم بين بطرسبورج ولندن ولم يتوقعوا ان بريطانيا التي اهدتهم ذلك البلاغ السار المطمئن لا تبالي ان تتفق مع روسيا عدوتها التاريخية على تقسيم تلك المملكة التي كم قاتل اهلها في سبيل تحريرها من اطواق ملوكها الظالمين والتي لم تكده تقتطف شتائم ثمرات جهادهم الدستوري العظيم . ولكن ابت الاقدار الا ان يفضل أولئك المساكين عن انفسهم فلم يتخذوا الحيلة باتخاذ الجنود والاكثر من آلات القتال بل صرفوا كل همهم في تنظيم بلادهم وتوفير اموالها بتدبير الجبايات كيلا يحتاجوا يوماً ما الى القروض الاجنبية التي هي مفتاح زوال الحياة الاستقلالية . وقد يجوز ان يكون نصيح لهم بعض سفراء الدول بذلك حتى تظل بلادهم خالية من الجنود الحامية ومن العقار والسلاح . ولعلنا لا ننسى تلك النصيحة التي قدمها لحكومة تركيا الفتاة المستشار المالي الذي جلب من فرنسا لاصلاح شؤونها المالية فان اول ما اقترحه في هذا الصدد حل الجيوش العثمانية ضامناً كما كان يقول الا تمتدى دولة من دول أوروبا على شيء من املك الدولة العثمانية . ولو ان احرار تركيا الفتاة خدعهم تلك التلميحات ولم يقتصموا بالحزم والحيلة لسارع الفناء اليهم كما سارع الى تلك الحكومة الفارسية ولما خفق اليوم علم على بقعة من الارض . على ان هؤلاء على كثرة حذرهم وسلامتهم من السقوط في تلك الهاوية السحيقة لم يسلموا من ان تذهب ولايتهم الافريقيتان وان تتسعر عليهم نيران الصيب فيما بقي لهم من الاملاك باروبا ولن تتعقد المؤتمرات في عاصمة انجلترا محررة الرقيق وناصره الضعيف ومؤيدة الاحرار فتعرض هنالك جزائرهم ولايتهم على حكومات الصليب ثم يراد من الحكومة العثمانية صاحبة تلك الاملاك ان تخرج عنها لا لسبب سوى انها حكومة اسلامية اسبوية .

على اننا اذا تدبرنا مصدر ذلك الشقاء و اردنا ان نعرف كيف فقد العثمانيون طرابلس وكيف هم اليوم يسطلون نيران الحروب المتسعة في اوروبا بنجده نحصر في سذاجة بعض سواها وفتحهم بما كان يقدمه لهم سياسة الاوروبيين من اليهود والوعود . فليكن سمعنا ان سفير المانيا كان يؤكد لحقي باشا الصدر في ذلك العهد ان ايطاليا لا تقدم على احتلال طرابلس حتى كان من نتائج ذلك حمل حاميتها وسلاحها الى اليمن فلم يبق في ولايتي طرابلس وبني غازي جميعا من الجنود سوى اربعة آلاف لا يملكون سوى القليل من السلاح . وبذلك تهيأت لاطاليا الاسباب التي طالما ارتقيتها و آتت لها الفرص التي كانت في ازمتها منذ جيل في قبضة الجنود الطرابلسية لعهد الخاقان الخلوع فانقضت عليها انقضاض الثعالب على غنم غقل عنها راعيها . ثم كانت تلك الوقائع التي اسفرت جميعها عن انتصار اهل طرابلس على قلة عددهم وانسداد سبل المدد في اوجههم ولكن قضى الامر وامتت وزارة مختار ما يقال له الصالح بين ايطاليا وتركيا واستعملت في شرائطه الفاظا مهما زيت وطلبت فانما معناها انسلاخ طرابلس الغرب وبني غازي عن جسم الدولة العثمانية واذا كان منشأ تفریط سياسة الاتراك في امر طرابلس وبني غازي فتحهم العمياء باقوال احد السفراء فانهم قد ابرزوا مثالا آخر لا يقل عن سابقه في غرابة وخطر نتائجه فلقد نسمع فيما يتداولون من الاحاديث ان سفير احدى الدول كان يؤكد لوزارة مختار باشا انه لا خوف من احدا على الرومللي والبانبا فكان من نتائج هذه الغفلة المطبقة ان سرحت تلك الوزارة الجنود الاحتياطية التي كانت حاملة السلاح استعداداً لمقابلة ايطاليا اذ هي اقدمت على النزول بشئ من نفورنا . فلما رأت حكومات البلقان ذلك سارعت الى تحقيق مكابدها التي دبرتها للدولة قبل ذلك بانشر والتي لم يحل دون تحقيقها سوى ما كانت اعدته وزارة سعيد باشا من الرجال والسلاح واذا كانت السذاجة وضعف القلب وعدم التبصر قضت على سياسة فارس وتركيا ان يقعوا في هذه الاشراك الظاهرة فلا عجب ان اهل المغرب الأقصى وهم على ما نعلم من الجهل اسرع منهم اليها فلقد عمى اولئك المساكين عما تاتيهم فرنسا في بلادهم من مقدمات الفتح على وضوحها وزادهم عمى اتكالهم طورا على اموات اوليائهم وتارات على مناصرة انجليترا لعهد عبدالعزيز ثم المانيا بعد ذلك لهم . ولقد كان يذكر لاحدهم شئ عما تضره فرنسا لبلادهم فما كان اسرعهم الى الاجابة بان المانيا ستحول دون ما ربهها .

ولا زالت الغفلة مغشية ابصارهم حتى ازالها الجنود الفرنسية بمدافعهم وسيوفهم ورماحهم فهم ومذكهم الواسع الغنى منذ العام الفارط في قبضة الجمهورية الفرنسية الصليبية

والخلاصة ان قد انطوت بانطواء العام الماضي صحائف وجود مملكتين عظيمتين اسلاميتين كما تم في لدول الصليب الاحاطة التامة بافريقيا الاسلامية . ثم اضطربت فيه نيران الحروب الصليبية بين حكومات البلقان والدولة العثمانية وسنرى عما قريب مصير ما بقي لنا في اوروبا وعاقبة ما بقي لنا من الجزائر في بحر سفيد وان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

(تيار الاستعمار)

(في بلاد الاسلام)

— ١ —

(افريقية الغربية الفرنسية)

من يلقي نظرة عامة في مصورات الجغرافية قبل مائة سنة ثم يتبعها بنظرة اخرى في التغييرات التي تعاقبت على تلك المصورات في خلال تلك السنين يتبين ان تيار الاستعمار او الفتح الاوروبي يغني تدريجيا وبسرعة مخفية في الممالك والاصقاع الشرقية عامة والاسلامية خاصة حتى لم يبق من تلك الممالك الاخيرة من حافظت على استقلالها السياسي ازاء هذا الخطر الاوروبي الا ثلاث دول واحدة منها وهي فارس تتنازعها من الشمال والجنوب دولتان ضيقتا عليها الحناق وسدت عليها المنافس والمساك . واخرى وهي بلاد الافغان حفظتها وعورة جبالها وشدة بأس رجالها من الفتوحات الاوروبية . والثالثة وهي الدولة العثمانية دولة الخلافة احاط بها الطامعون من كل جانب وهي تصرف كل مجهوداتها في سبيل المحافظة على كيانها نسأل الله النجاة والخلاص من ذلك التيار الجارف .

أما ما بقي من البلاد الإسلامية اوالتي يكثر فيها ويسود العنصر الاسلامي فقد أصبحت تحت حكم الدول المسيحية وانما تختلف احوالها السياسية والاقتصادية باختلاف موقف كل منها ازاء ذلك التيار .

وانه لمن افيد المباحث واجدرها بمجلة اسلامية كبيرة . مثل مجلة الهداية بسط الكلام في صفحاتها عن امتداد تيار الاستعمار في بلاد الاسلام وكيف سرى الى كل منها وكيف كان حالها قبل ان يمتد اليها وبعد ان طغى عليها وماهى الطرق التي ساعدت على استئصال امره وتعاضم شأنه . فان في معرفة كل ذلك وتدبره دروساً وعبراً لولا اضفناها الى الدروس التي تلقينا عليها الحوادث كل يوم ربما تنفعنا ان كنا من تنفعه الذكرى .

ولذلك عن لى ان اطرق هذا الباب في مجلة الهداية . وسأ جعل مبحث اليوم خاصاً بما كان من امتداد هذا التيار في البلاد التي تسمى في مصطلح علم تقويم البلدان الحديث « افريقية الغربية الفرنسية » وما وصل اليه الاستعمار في ذلك القسم العظيم من القارة الافريقية وسأ تبع هذا المبحث بمباحث أخرى عما كان من شأن الاستعمار الأوروبي في البلاد الأخرى التي صادفها في طريقه بالقارتين الافريقية والاسيوية .

كيف استولت فرنسا

— على تلك البلاد —

أصبح لفرنسا في افريقية الغربية قدم راسخة ومملكة واسعة تحدها غرباً شواطئ المحيط الأعظم (الاطلسي) وشمالاً الرمال الصحراء الافريقية الكبرى وشرقاً وادى نهر النيجر ومستعمرة نيجريا الانجليزية وجنوباً خليج غينا ونفوذها مبسوط على ما بين تلك الحدود المتباعدة من الاصقاع الواسعة الا بعض مستعمرات للدول الأوروبية الأخرى على السواحل كمستعمرات جامبي وتوجو والنيجريا وسيراليون

الانجليزية وغينا البرتغالية وجمهورية ليبيريا الحرة . فتبلغ مساحة افريقية الغربية الفرنسية وحدها اربعة ملايين من الكيلومترات يسكنها الآن اثنا عشر مليون نسمة نزلت فرنسا بهذه البلاد في القرن السابع عشر من الميلاد وكانت اول جهة هبطتها هي السنغال وهي اقدم مستعمرات فرنسا في افريقية ولما قامت الحروب المتعاقبة بين فرنسا وانجلترا في زمن نابليون طرد الانجليز الفرنسيين من السنغال ولكنهم عادوا اليها سنة ١٨١٧ بعد سقوط دولة نابليون وانتهاء الحروب بين فرنسا وانجلترا قابتدأوا من ذلك العهد يحجرون على سنة الاستعمار في مبدأه وهي انشاء مراكز صغيرة على السواحل بقصد المناجزة مع الاهالي ثم اخذوا بمد رسوخ قدمهم في السواحل يتوغلون شيئاً فشيئاً في الداخل . وهكذا يبدأ الاستعمار الأوروبي في الاصقاع البعيدة المجهولة : يرسلون روادهم فيخبرون المواقع التي تصلح للاقامة على السواحل ثم بعد ان ترسخ قدمهم فيها يتوغلون اولاً بقصد الاستكشاف ويستعينون بمن يأنس اليهم من الاهالي فيرشدونهم الى الطرق والمسالك ويجوبون انحاء البلاد فيعرفونها ويمرّفون احوال اهلها وقوتهم وبذلك ينتهي دور الاستكشاف ثم يأتي بعده دور القتح والعزو فيجدون السبيل امامهم ممهداً معروفاً .

كانت مستعمرات فرنسا في افريقية الغربية الى منتصف القرن التاسع عشر لا تتعدى السنغال والمراكز التي انشأها المستعمرون الفرنسيون على الشواطئ كما قدمنا ولكن نفوذ فرنسا ابتداءً يمتد في داخلية البلاد من ذلك العهد وذلك ان احد الولاة الذين عينتهم الحكومة الفرنسية في السنغال — واسمه فيديرب — وضع مشروعا للفتح جعل غايته بسط نفوذ فرنسا في الداخل مبتدئاً من وادى السنغال الى ان يصل مشرقاً الى وادى النيجر ليجعل افريقية الغربية بذلك مستعمرة فرنسية . ولكنه لم يوفق الى ادراك غايته لانه وجد من القبائل البدوية النازلة على الشاطئ الايمن من وادى السنغال مقاومة شديدة لم يتمكن بفضلها من ان يبسط نفوذ فرنسا في مستعمرة السنغال نفسها واضطر في سنة ١٨٥٣ الى ان يعقد مع تلك القبائل معاهدات تضمن له ان لا تعطل القبائل سير التجارة بتلك الجهات وذلك في نظير جعل سنوى يدفع لها من واردات المستعمرة . وكانت هذه المعاهدات او « العادات » كما يسميها الفرنسيون الآن ترفقا دايلاً على شدة بأس تلك القبائل وقوتها .

اخذ الفرنسيون من ذلك العهد يتوغلون جنوباً حيث لم يجدوا مقاومة شديدة لأن سكان الجنوب جلهم من السود الذين ليس لديهم من العصية ما لدى القبائل

البدوية والمولدين . فسهل على فرنسا اخضاعهم ولم تاق عناء شديدا الا في مملكة
الداهومي حيث كان عليها ملك مشهور بالسطرة والقوة وهو الملك يهنزن فقاوم
الفرنسيين مقاومة شديدة ولكنهم تمكنوا من فتح مملكته وضمها الى مستعمراتهم
في افريقية الغربية . ثم يوجد كذلك في غابات مستعمرة ساحل العاج جزء كبير
من الاهالي لايزالون يقاومون الفرنسيين ولكن فرنسا اخذت في نزع السلاح ممن
تقدر عليهم بالتدريج حتى تفقدتهم قوة المقاومة . ويقدر الفرنسيون انه لا تخطى ستان
من الآن الا وتسود السكينة اتماما في تلك المستعمرة .

اما الجزء الشمالي المتصل بالصحراء الكبرى فقد صعب على الفرنسيين في اول
الامر اخضاعه لان سكانه من المولدين او من القبائل البدوية التي تتفر بطبيعتها
من الحكم وعلى الاخص من حكم دولة مسيحية هذا فضلا عن ان تلك القبائل كانت
كثيرة التنقل لا تستقر في موطن واحد فلا يسهل اذلالها واخضاعها . وكانت
الصحراى الكبرى ملجأ لهم يولدون بها اذا طاردهم الفرنسيون المغيرون وكانت فرنسا
تقصر في ذلك الوقت عن تعقبهم ومحاربتهم في جوف الصحراء فظلت الجهات الشمالية
لذلك بأمن من الغارات الفرنسية .

عزمت فرنسا على ان تأخذهم بالمطاوله بعد ان لم تفلح في اخذهم بالمناجزة فتركهم
زمتا حتى رست قدمها فيما وراءهم من اصقاع السودان والسنغال واخذت
تجند من الاهالي السود جنودا تجعل عليهم ضباطا من جيشها لتفوز بهم الجهات
الشمالية ولكنها بكل اسف لم تتكلف عناء كبيرا لما دب بينهم من ديب الخلاف
ولائها استمالت اليها بعض رؤساء القبائل منهم بالمال والوعود الجميلة وجعلتهم
عيونها في غزواتها . واليك ما كتبه القومندان اومون فيرى في كتابه (فرنسا في
افريقية) الذي وضعه سنة ١٩٠٥ اى قبل ان يتم لفرنسا اخضاع تلك الجهات
الشمالية الصحراوية لها

ابان الكاتب اولا ما يعود على فرنسا من الفوائد الاستعمارية فيما لو بسطت
نفوذها هناك فقال

« يوجد في مواضع معلومة متفرقة في تلك الجهات مناجم كثيرة للملح ومزارع
خصبة وآبار ومراكز مهمة للتجارة تجتمع فيها القوافل التي تخرق الصحراء
الكبرى ما بين تونس والجزائر ومراكش شمالا والسنغال والسودان الفرنسي
جنوبا . فاذا توصلنا الى الاستيلاء على تلك الامكنة امكننا ان نخضع القبائل
الضاربة هناك لان موارد رزقهم تكون في قبضة يدنا .

« على ان الضباط الذين جابوا تلك الجهات قد اظهروا في تقاريرهم مقدار
اهميتها في نظر القبائل التي تجوب الصحراء وقد عرفوا المواقع التي يجتمع حولها
البدو ويجذبهم اليها ما بها من المياه والمراعى والمزارع واطهروا ان هناك يجب
لان ترسخ قدمنا لاختراع قبائل الطوارق والقبض على مفتاح المواصلات بين
الشمال والجنوب »

ثم اظهر الكاتب خطة فرنسا في الاستيلاء على تلك المواقع فقال :

« على ان الامر ليس في حاجة الى قوة كبيرة بل الى تدرج اساسه الحكمة
والسياسة او بعبارة اخرى الى تداخل سلمى وذلك بان نجتهد في حمل القبائل
الضاربة في تلك الجهات على قبول سلطتنا . وقد جاء بعض رؤساء تلك القبائل
فعلا الى المواقع الفرنسية يطلبون حمايتهم من غارات خصومهم . فلنجتهد اذا في
ان نكسب بعض ذوى النفوذ من رؤساء تلك القبائل بواسطة اهدائهم هدايا
ثمينة . . . (كذا) او بمنحهم ميزات خاصة . . . وذلك لنستخدمهم في اقناع
قومهم بان لا ينغروا من سلطتنا » والحقيقة المؤلمة ان فرنسا لم تتكبد خسائر كبيرة
في اخضاع بعض الجهات الشمالية التي استعصت عليها في اول الامر وآخراعمالها
من هذا القبيل انها احتلت في يناير ١٩١٢ واحتين من الواحات الواقعة جنوب
الصحراء وهما يتشيت وواته اما الذين ابوا الخضوع لها فقد أمضوا في جوف
الصحراء ليكونوا بمأمن من غزواتها . ولذلك يعتبر الفرنسيون الان ان
افريقية الغربية الفرنسية بالحدود المتقدمة قد اصبحت خاضعة لهم خضوعا فعليا

(— سياسة فرنسا بعد الفتح —)

من يوم ان استولت فرنسا على تلك البلاد الواسعة واخضعت معظم سكانها
وجدت بها مجالا واسعا لاستثمار خيراتها الكثيرة فرأت اولا ان تقسيمها الى جملة
مستعمرات مستقلة بعضها عن بعض يحول دون توحيد مشاريع الاستعمار فيها
ففي سنة ١٩٠٤ جمعتها مستعمرة واحدة اطلقت عليها اسم « افريقية الغربية
الفرنسية » تشمل في الحقيقة كل المستعمرات الداخلة ضمن حدودها وهي السنغال
وغينيا الفرنسية ومستعمرة ساحل العاج والداهومي واغالي وادي السنغال ووادي

البدوية والمولدين . فسهل على فرنسا اخضاعهم ولم تلاق عناء شديدا الا في مملكة الداھومي حيث كان عليها ملك مشهور بالسطوة والقوة وهو الملك بيهزن فقاوم الفرنسيين مقاومة شديدة ولكنهم تمكنوا من فتح مملكته وضمها الى مستعمراتهم في افريقية الغربية . ثم يوجد كذلك في غابات مستعمرة ساحل العاج جزء كبير من الاهالي لا يزالون يقاومون الفرنسيين ولكن فرنسا اخذت في نزع السلاح ممن تقدر عليهم بالتدريج حتى تفقدتهم قوة المقاومة . ويقدر الفرنسيون انه لا تمضي ستان من الآن الا وتسود السكينة اتمامة في تلك المستعمرة .

اما الجزء الشمالي المتصل بالصحراء الكبرى فقد صعب على الفرنسيين في اول الامر اخضاعه لان سكانه من المولدين او من القبائل البدوية التي تتفر بطبيعتها من الحكم وعلى الاخص من حكم دولة مسيحية هذا فضلا عن ان تلك القبائل كانت كثيرة التنقل لا تستقر في موطن واحد فلا يسهل اذلالها واخضاعها . وكانت الصحراى الكبرى ملجأ لهم يلوذون به اذا طاردهم الفرنسيون المغيرون وكانت فرنسا تقصر في ذلك الوقت عن تعقبهم ومحاربتهم في جوف الصحراء فظلت الجهات الشمالية لذلك بمأمن من الغارات الفرنسية .

عزمت فرنسا على ان تأخذهم بالمطاوله بسدان لم تفلح في اخذهم بالمناجزة فتركهم زمنا حتى رست قدمها فيما وراءهم من اصقاع السودان والسنغال واخذت تجند من الاهالي السود جنودا تجمل عليهم ضباطا من جيشها لتفروهم الجهات الشمالية ولكنها بكل اسف لم تتكلف عناء كبيرا دب بينهم من ديب الخلاف ولائها استمالت اليها بعض رؤساء القبائل منهم بالمسال والوعود الجميلة وجمعتهم عيونها في غزواتها . واليك ما كتبه القومندان اومون فيرى في كتابه (فرنسا في افريقية) الذي وضعه سنة ١٩٠٥ اى قبل ان يتم لفرنسا اخضاع تلك الجهات الشمالية الصحراوية لها

ابان الكاتب اولا ما يعود على فرنسا من الفوائد الاستعمارية فيما لو بسطت نفوذها هناك فقال

« يوجد في مواضع معلومة متفرقة في تلك الجهات مناجم كثيرة للملح ومزارع خصبة وآبار ومراكز مهمة للتجارة تجتمع فيها القوافل التي تتحرك الصحراء الكبرى ما بين تونس والجزائر ومراكش شمالا والسنغال والسودان الفرنسي جنوبا . فاذا توصلنا الى الاستيلاء على تلك الامكنة امكننا ان نخضع القبائل الضاربة هناك لان موارد رزقهم تكون في قبضة يدنا .

« على ان الضباط الذين جابوا تلك الجهات قد اظهروا في تقاريرهم مقدار اهميتها في نظر القبائل التي تجوب الصحراء وقد عرفوا المواقع التي يجتمع حولها البدو ويجذبهم اليها ما بها من المياه والمراعى والمزارع واظهروا ان هناك يجب ان ترسخ قدمنا لاختضاع قبائل الطوارق والقبض على مفتاح المواصلات بين الشمال والجنوب »

ثم اظهر الكاتب خطة فرنسا في الاستيلاء على تلك المواقع فقال :

« على ان الامر ليس في حاجة الى قوة كبيرة بل الى تدرج اساسه الحكمة والسياسة او بعبارة اخرى الى تداخل سلمى وذلك بان نجتهد في حمل القبائل الضاربة في تلك الجهات على قبول سلطتنا . وقد جاء بعض رؤساء تلك القبائل فعلا الى المواقع الفرنسية يطلبون حمايتهم من غارات خصومهم . فلنجتهد اذا في ان نكسب بعض ذوى النفوذ من رؤساء تلك القبائل بواسطة اهدائهم هدايا ثمينة . . . (كذا) او بمنحهم ميزات خاصة . . . وذلك لنستخدمهم في اقناع قومهم بان لا ينغروا من سلطتنا » والحقيقة المؤلمة ان فرنسا لم تتكبد خسائر كبيرة في اخضاع بعض الجهات الشمالية التي استعصت عليها في اول الامر و آخر اعمالها من هذا القبيل انها احتلت في يناير ١٩١٢ واحتين من الواحات الواقعة جنوب الصحراء وهما يتشيت وواته اما الذين ابوا الخضوع لها فقد أمعنوا في جوف الصحراء ليكونوا بمأمن من غزواتها . ولذلك يعتبر الفرنسيون الان ان افريقية الغربية الفرنسية بالحدود المتقدمة قد اصبحت خاضعة لهم خضوعا فعليا

(— سياسة فرنسا بعد الفتح —)

من يوم ان استولت فرنسا على تلك البلاد الواسعة واخضعت معظم سكانها وجدت بها مجالا واسعا لاستثمار خيراتها الكثيرة فرأت اولا ان تقسيمها الى جملة مستعمرات مستقلة بعضها عن بعض يحول دون توحيد مشاريع الاستعمار فيها . ففي سنة ١٩٠٤ جمعتها مستعمرة واحدة اطلقت عليها اسم « افريقية الغربية الفرنسية » تشمل في الحقيقة كل المستعمرات الداخلة ضمن حدودها وهى السنغال ووغينيا الفرنسية ومستعمرة ساحل العاج والداھومي واعلى وادى السنغال ووادى

النيجر والجزء الشمالى الغربى الذى يطلق عليه الفرنسيون اسم « موريتانيا » نسبة الى كلمة « مور » التى يطلقونها على العرب اى بلاد القبائل العربية البدوية وعينت عليها حاكما عاما مثل الحاكم العام فى الجزائر مقره مدينة دكار على الشاطئ الغربى بالسنگال ولها ميزانية خاصة تحت ادارة الحاكم العام ومجلس الحكومة فى دكار ولكل مستعمرة من المستعمرات المكونة لافريقية الغربية نائب عن الحاكم العام يعمل تحت مراقبته

فلنبحث الآن ماذا عملت فرنسا فى تلك البلاد بعد ان بسطت عليها نفوذها وسلطانها . لابد من اجل ذلك ان نتكلم (اولاً) فى سياسة فرنسا مع الاهالى وعلى الأخص مع المسلمين (ثانياً) فى سياستها الاقتصادية والادارية

— (١ — سياستها مع الاهالى) —

حينما قلب الانسان طرفه فى الكتب التى وضعها دعاة الاستعمار فى صدد فتوحات فرنسا واعمالها فى افريقية لانجد الا ان فرنسا انما فتحت تلك البلاد الواسعة لتنتشر فيها مبادئ المدنية ولتسعد اهلها وترقى بهم الى مصاف المتحضرين . ولكن من الغرب انسانجد من خلال كتابات هؤلاء الدعاة مالا يتفق مع المبادئ التى يقررونها وما يتجلى منه الغرض الحقيقى من الاستعمار وانهم يرمون الى محو كل هيئة او جماعة لا تريد ان تقف وتريد ان تستبقى شخصيتها امامهم . واليك ما كتبه جريدة الطان فى ملحق لعدد الصادر فى ١٢ أكتوبر سنة ١٩١٢ تعرف منه حالة المسلمين فى البلاد المحتلة بالحكم الأوروبى قالت

« ان السكينة سائدة الآن فى جل انحاء افريقية الغربية الفرنسية ولكن الخطر الفرد الذى يتهددنا هناك هو انتشار الاسلام الذى يخطو خطوات لاسبيل للشك فيها فانه هو الذى يفرق بيننا وبين رعايانا ويقيم بيننا وبينهم حاجزا من سوء التفاهم . فيجب علينا ان نتبع فى مستعمراتنا سياسة تحول اولا دون انتشار مظاهر التعصب الاسلامى (اقرأ انتشار الاسلام) ثم تضمن لنا ثانيا كسب ثقة الاهالى السود »

واليك ما كتبه القومندان فيرى فى كتابه (فرنسا فى افريقية) فى هذا المعنى « ان من بين العقبات التى تعرقل مساعينا فى بسط نفوذنا بافريقية توجد عقبة ليس اقوى منها ولا اشد تأثيرا وهى بلا شك عقبة الاسلام . فالاسلام هو دين كما انه مذهب سياسى ولذلك لم يأل جهدا فى مقاومتنا باقوة كلما استطاع اليها سبيلا واذا ما انهزمت قوته الحربية اما منا فهو يقاومنا مقاومة خفية اساسا

العقائد . فالاسلام بضمه شتات شمال افريقية وضررها يعتبر بالنسبة للمسلمين رابطة قوية تزيد فى قوتها عن الروابط الجنسية ومن الغرب انه يمتد ويتشعر على مرأى منا وفى البلاد التى نحكمها

« واذا اخذنا خريطة القارة الافريقية وارادنا ان نعرف الجهات التى اتبعنا فى فتحها واخضاعها فلنضبط باللون الاسود البلاد التى يدين اهلها بالاسلام نعرف انها هى التى اضطرنا الى ان نصرف اكثر مجهوداتنا لتكوين مملكتنا الاستعمارية « فى الجزائر مثلا اضطررنا الى نصف قرن من الزمان لاخضاع اهلها وفى السنغال تعب فيدرب فى محاربة المسلمين طويلا وكذلك الحال فى السودان الفرنسى ويوجد بعض اصقاع تعتبر رسميا من جملة مستعمراتنا ولكن سلطتنا فيها لا تزال اسمية لما تأسل لدى المسلمين من اهلها من الكراهية الشديدة للمسيحى « اما البلاد التى اهلها وثنيون كالكونجو والجابون وبمبارا مثلا فقد رسخت فيها قدمنا بسهولة دون ان نتكلف عناء كبيرا »

هذا مايقوله دعاة الاستعمار جهارا وما اسهل مايستتج القارئ منه عواطف المستعمرين الاوروبيين ازاء المسلمين وهل يريدون بهم خيراً ام شراً . وهنالى كلمة وجيزة اقولها استطراداً لان المقام يستلزمها . لقد مر بك ان البلاد التى قاومت الغزوات الاوروبية هى البلاد التى يدين اهلها بالاسلام ولاشك ان هذالمقاومة وان اعتبرها المستعمرون من الجنايات الا انها اصدق دليل على حياة الائم الاسلامية وابتها ان تذلل الاجنبى المغير عليها . ولطالما سمعنا من الطاعنين على الاسلام انه هو سبب تأخر من يدينون به من الائم وسبب جودهم وموتهم فهل هناك دليل على بطلان هذالمطاعن اكثر من هذم المقارنة التى بينها ذلك الكاتب الفرنسى وهو يقول ان البلاد الوثنية لا تقاومنا مقاومة تذكر ولكن البلاد الاسلامية هى التى نجد فيها مصاعب كثيرة لسيط نفوذنا فيها وحيشما صادف المستعمرون فى طريقهم اقواما وانما مسلمة عرفوا ان أمامهم متاعب ومجهودات حمة . وبدهى ان الاسلام لوكان على فطرته فى تلك البلاد ولواهتدى اهلها بهداه واخذوا بما يرشدهم اليه من اسباب الحياة والرقى لتضاعفت قوة مقاومتهم ولكن الاسلام فيها سد امنيا لا يستطيع المستعمرون ان يتجاوزوه بدلا من ان يكون سبب متاعبهم فلنعد الى ما كننا فيه : درس

الفرنسيون احوال الاهالى في تلك المستعمرة وغيرها فاعلموا ان عصبية المسلمين آتية من التفاف القبائل والعشائر حول رؤسائها وطاعتها لهم ومن نفوذ الزعماء الدينيين الذين يثبتون بينهم ما يعرفونه من قواعد الدين الحنيف وان الاهالى السود يعترفون للعرب والمولدين بالراسية فيعز هؤلاء ويقوون بهم . فاخذ الفرنسيون يفسدون هذه العصبية باسماتهم بعض الرؤساء ومحاربهم للمعاهد التي ينشئها الزعماء الدينيون (المرابطون) ثم بالحيولة بين البيض والسود وتفهم هؤلاء بان لاسلطة للعرب عليهم حتى يضعفوا عصبيتهم ويذلوا الجميع .

واليك دليلا على ذلك ما قاله المسيو بوتي الحاكم العام لافريقية الغربية الفرنسية في خطبة له القاها في يونيو سنة ١٩٠٩ « يجب ان تتبع هناك سياسة الجنسيات اى ان ننتخب الرئيس من القبيلة او من الجماعة التي هو منها ويجب ان لا نجعل لجنس على جنس ميزة اوراسيه وان نحارب الرؤوس الكبيرة لكسب ثقة الجماهير لان هذه الرؤوس تحول دائما بيننا وبين العامة وتميل بهم الى حيث تكون منهم عصبية اسلامية في البلاد التي انتشر فيها الاسلام »

نشرت جريدة الطان التي تعتبر في عالم السياسة لسان حال الحكومة الفرنسية هذه الخطبة في ملاحق لعددتها الصادر في ١٢ أكتوبر سنة ١٩١٢ وأطرت الخطيب ثم قالت هي بعد ذلك :

« ولقد اخذنا في مراقبة تيار التمصب الديني (!) بالهيمنة على الزعماء الدينيين (المرابطين) والمبادئ التي ينشرونها وتقليل عدد مدارسهم شيئا وشيئا ونشر لغتنا بين الاهالى بقدر المستطاع . وفي هذا المقام يجب ان تنفي على همه المسيو بوتي الذي منع استعمال اللغة العربية كلك رسمية في المحاكم الاهلية لان تلك اللغة هي مطية الاسلام ينتشر بفضلها بين من يتكلمون بها على انه باى حق تستعمل تلك اللغة في المحاكم هناك مع انها ليست لغة جل الاهالى في افريقية الغربية ؟ لاشك ان العدل يقضى (!) بان تكون اللغة الفرنسية هي اللغة العامة المشتركة في تلك المستعمرة »

« على ان المجهودات التي نبذلها هناك تتجه نحو ترقية حالة الاهالى السود بالتعليم وباصلاح حالتهم الصحية والمعاشية وقد جعلنا الغرض الجوهري من

٥١ —
تعليمهم نشر اللغة الفرنسية بينهم مع تلقينهم المبادئ الاولى العلمية . وقد تمكنا لذلك من انشاء مائتي مدرسة اولية فيها احد عشر الف تلميذ . ويوجد عدا ذلك مدارس اسلامية حرة يدرس فيها الاولاد اهم سور القرآن ولكننا اشترطنا على المدارس الاسلامية الرسمية في سان لويس وغانا وتمبكتو ان تدرس اللغة الفرنسية لتلاميذها »

هذا ما عمله الفرنسيون في افريقية الغربية من الوجهة السياسية وكله يرمى الى خضد شوكة السكان الذين لهم شئ من العصبية وهم المسلمون والقبائل البدوية والمولدون لانهم بالطبع لا يقبلون ان يفنوا او يتلاشوا امام تيار الاستعمار فحاربهم فرنسا في عصبيتهم وفي معاهدهم وفي دينهم وفي لغتهم وهي تريد ان لا يبقى هناك سوى السكان الصليبيين اى السود لتجعلهم جنودها وعدتها وآلاتها في استثمار خيرات تلك البلاد .

— الجنود السود —

يذكر القراء ما كان للجنود السود الذين جلبتهم ايطاليا من مستعمرة الاريتيره واستخدمتهم في صفوف جيشها المحارب في طرابلس الغرب وكيف كان هؤلاء الجنود في مقدمة جيشها تحمل عنه رصاص المجاهدين من المسلمين . وربما كان ذلك مدعاة الى الدهشة ولكن ايطاليا كانت في هذه الطريقة متبعة سنة فرنسا فان لديها الآن جيشا من الجنود السود تعتمد عليه اعتمادا كبيرا في توطيد اركان مملكتها الاستعمارية . وجدير بنا ان نعرف كيف انشأت فرنسا هذا الجيش فليمعن القراء نظرهم فيما اعربه في هذا المقام عن جريدة الطان الفرنسية فان فيه لبرة معتبر . قالت في ملحق عددها السابق :

« عندما تقاسمت دول أوروبا القارة الافريقية كان البعض يهزأ بالقسم الذي وقع في نصيب فرنسا ولكن ستانلى (الرحالة المشهور) رد عليهم بقوله ان الفرنسيين قد اتخذوا الصفة الراجعة لانهم اخذوا بلاد الجنود

« وقد تحقق قول الرحالة فان افريقية الغربية الفرنسية هي ينبوع كبير للجنود السود فهذه الجنود قد فتحنا السودان الفرنسي واخضعنا مملكتنا الواسعة في

وكان منهم عدد في جيوش الثورة الفرنسية ولهم مواقف مشهودة في حرب القرم . وكانت الممالك والامارات التي تعاقبت على شواطئ افريقية الشمالية تستخدمهم وخصوصا في مراکش حيث كان لدى مولاى اسماعيل ، في القرن السابع عشر جيش مؤلف من ١٥٠ الفا من الجنود السود ولا يزال الحرس الخاص لسلطان مراکش الآن من اولئك الجنود »

وقد نشرت الطان في عددها الصادر في ٤ فبراير سنة ١٩١٢ حديثا للمسيو بوتى الحاكم العام لافريقية الغربية الفرنسية في شأن هؤلاء الجنود قال فيه :

« ان افريقية الغربية الفرنسية يسكنها الآن من ١٢ الى ١٥ مليون من النفوس ويذهب بعض الضباط والكتاب الى انه يمكن تجنيد جيش منهم يتراوح بين ٢٠٠ الى ٣٠٠ الف من السود ولكن من رأى ان نسير في هذه المسألة ببطء واناة . فلدينا الآن جيش من السود يقرب من عشرين الفا يمكننا ان نصل به الى ثلاثين الفا دون ان نقص عددا كبيرا من الايدي العاملة في استثمار خيرات تلك البلاد لان الذى يهنا من هذا الجيش ان نجعل منه قوة تحفظ لنا افريقية الغربية وقوة نستخدمها في غيرها من المستعمرات . فالقوة المرابطة هناك تبلغ عشرة آلاف جندي وهي كافية لحفظ المستعمرة .

اما القوة التي يمكننا جمعها من افريقية الغربية لنستخدمها في الانحاء الاخرى من مملكتنا الاستعمارية مثل افريقية الشمالية وافريقية الوسطى ومدغشقر فهي التي تهنا اكثر من الاولى . ويمكننى القول بان في استطاعتنا حشد عشرين الفا ايضا لهذه الغاية ومهما يكن من الامر فانه يمكننا بشئ من النظام والادارة ان نجعل من افريقية الغربية الفرنسية ينبوعا لا ينفد من الجنود السود »

وقد اصدرت الحكومة الفرنسية فعلا بناء على مساعى هذا الحاكم قانونا في ٧ فبراير سنة ٩١٢ يتضمن نظام التجنيد الجديد في تلك البلاد جعلت به التجنيد اجباريا اذا رأت الحكومة لزوما لذلك واخذت فعلا في تنفيذ هذا القانون وجندت عددا كبيرا من كافة انحاء المستعمرة ولا تسلم عما استعمل عمالها من القسوة والشدة في جمع انوار القرعة قسرا . والفرنسيون يعتبرون الآن ان افريقية الغربية الفرنسية أصبحت بهذا النظام الجديد كفيلا بان تضمن لفرنسا سلطتها الفعلية في كافة مستعمراتها الافريقية .

افريقية الوسطى [١] وبهم ايضا نحارب في مراکش ولذلك أصبحت مسألة جيشنا الاسود في افريقية موضوع عناية حكومة الجمهورية .
« اما عن قيمة هؤلاء الجنود فقد بينها الكولونيل مانجان في خطبة له القاها سنة ١٩١١ قال عنهم :

« انكم تعرفون الصفات الحربية التي امتاز بها الرماة السنغاليون لانكم ترون منهم عددا كبيرا في جيشنا فلا يوجد جنود يفوقهم في مقاومة المتاعب والاكتفاء بأقل الحاجات والصبر على المشاق في الاسفار البعيدة التي يقطعونها سيرا على الاقدام بلا ضجر ولا تملل حتى ولو قل زادهم وحرموا نومهم . وقد شاهدنا كثيرا من فرقهم يقتل منها ويجرح عدد كبير ومع ذلك لا يؤثر هذا في القوة المعنوية في الجنود الباقين . وكثيرا ما حاربت فرق منهم عدة ايام على التعاقب ومع ذلك لم يكفوا ولم يضعفوا فهم تحت قيادة ضباطنا الفرنسيين يصدون هجمات كل عدو يقف امامهم .

« انا لا انكر ان هؤلاء الجنود لم يدخلوا في معارك يستخدم بها العدو احدث المدافع لان مدافع الدراويش مثلا في فاشوده وبهران في الداومى والسامورى في قونج والسلطان رباح في قسرى والمملكة رنقالو في مدغشقر لا تجارى مدافنا التي حاربناهم بها ولكن الجنود السود قاوموا ببسالة كل هجمات الاعداء سواء كانوا من متوحشى الغابات في خط الاستواء او من قبائل الطوارق او العرب في الصحراء او من المغاربة في مراکش فلا محل للشك في انهم سيرهنون على شجاعتهم في الدارمة حتى في المعارك التي تستخدم فيها المدافع الحديثة لان الامر الذي يفوقون به الجنود المتحضرة انهم ليسوا من ذوى الامزجة العصبية السريعة التأثر فينازى الجنود المتحضرة تفقد قوتها وشدها اذا تهيجت اعصابها بسبب حرمانها من النوم مثلا نرى هؤلاء الجنود السود ينامون ملء الجنون بلا مبالاة بالرصاص المتساقط قريبا منهم .

« على ان هؤلاء الجنود ليسوا بمحدثي عهد في ميادين القتال فقد كان الخلفاء الاندلسيون يستخدمونهم في صفوف جيوشهم وابلوا البلاء الحسن فوق هضاب اسبانيا القارسة البرد .

[١] تمتد املاك فرنسا في افريقية الوسطى من ساحل النيجر الى ما حول بحيرة تشاد من البلاد لغاية حدود السودان المصرى وسنفردها بابا خاصا

— سياسة فرنسا الاقتصادية —

بقيت لنا كلمة الآن في سياسة فرنسا الاقتصادية في تلك البلاد تتم بها موضوع اليوم :

لا جدال في ان الفرنسيين قد نبغوا في ميادين الاقتصاد والمال فيلهم الى التوفر غريزي اكتسبوه بالتربية والدراسة ومهارتهم في المسائل المالية امر معروف واموالهم لها عمل كبير في اكثر اسواق العالم . وبفضل هذه الصفات والميزات امكنهم بعد ان اخضعوا افريقية الغربية ان يستثمروا خيراتها الوفيرة وهم يعملون بحمد ونشاط في هذا الميدان لتروج اسواق باريس ومبرسيلييا وبورود وغيرها وتوسع ثروة فرنسا التي اكسبتها قوة كبيرة في المؤتمر الدولي العام . ومن لنا في الدولة العثمانية رجال يعرفون كيف يستثمرون خيرات بلادهم مثلما يستثمر هؤلاء المستثمرون بلاد غيرهم بل من لنا في مصر رجال يعملون بعزيمة صادقة في ميادين الاقتصاد لنسترد بهم وجودنا الاقتصادي الذي فقدناه وضيعناه بتفريطنا وتبذيرنا وقصر نظرنا بعد ان فقدنا وجودنا السياسي بفططات حكامنا السابقين فلينظر القراء كيف عمر الفرنسيون (لمصلحتهم) مستعمراتهم في افريقية الغربية .

كان المسيو روم الحاكم العام السابق لتلك المستعمرة اول من فكر في وضع مشروع لتعمير البلاد واستثمار ثروتها الطبيعية وكانت فكرته متجهة أولا نحو انشاء سكة حديدية تقرب المتباعد من انحاءها وتخرج كنوز اراضيها لتبتدى غربا من دكار وسان لويس على المحيط الاعظم وتقطع نهر السنغال ثم تسير مشرقة حتى تقطع نهر النيجر عند منبعه الى ان تصل بعد ذلك الى وادي فلك النهر على حدود المستعمرة شرقا ثم تصل هذه السكة الرئيسية بسواحل تلك المستعمرة غربا وجنوبا فيوصل منها فرع الى كونا كرى ميناء غينا الفرنسية وفرع آخر الى نجر فيل بساحل العاج وفرع ثالث الى بورتونوفو على ساحل الداوومي وان تصل بين هذه الفروع فروع اخرى موازية للسكة الرئيسية . وضع اساس هذا المشروع منذ ست سنوات وكان طول الخطوط التي شرع في مدها يتراوح بين خمسة آلاف وستة آلاف كيلومتر تم منها الآن

نحو ٢٥٠٠ كيلومتر وقد عزمت حكومة المستعمرة على عقد قرض بستمائة ملايين جنيه لاتمام الخطوط الباقية وتوسيع بعض الثغور واصلاحها تسهيلا للمواصلات والنقل والفرنسيون يصرفون على هذه المشاريع بسخاء لملمهم ان السكة الحديدية لا تمتد في جهة الا وتعمر اراضيها وتكثر مزارعها ولاعتقادهم ان ما يقتضونه من الانفاق على تلك المشاريع سيستوفونه من واردات المستعمرة بعد زيادة ثروتها .

وقد استمدروا بفضل الخطوط الحديدية التي تم انشاؤها للآن خيرات كثيرة لان الاراضي هناك في غاية الخصب وهي صالحة للزراع اذا اعتنى بها وسهل نقل حاصلاتها ففي سنة ١٩١١ كانت صادرات تلك البلاد تقدر بخمسة ملايين من الجنيهات تقريبا منها اربعة ملايين قيمة الصادرات الزراعية . واهم انواع زراعتها المطاط (الكاوتشوك) والحبوب خصوصا الذرة والبقول السوداني ثم الارز والتخيل والتيلة والدخان والفواكه وخصوصا الموز الذي يزرعون منه الآن كميات وافرة وقد ابتدأوا يحرقون زراعة القطن . ويوجد عدا ذلك غابات كثيرة يقطعون منها اخشابا للتصدير ويستخرجون من بعض الاشجار الصمغ العربي ويصدرون منه وحده سنويا مقدار مليون وستمائة ألف فرنك . وبها مراعى كثيرة يربون فيها انواعا متعددة من الماشية كالخيل والجمال والثيران والحيوانات المأكولة التي يصدرون منها عددا كبيرا كل سنة كالبقر والماعز ورؤس الضأن وقد غنت بها الحكومة هناك فعينت في كل مستعمرة عدة مفتشين بيطريين لتحسين حالة المواشي ومعالجتها من الامراض التي تصيبها وفي تلك البلاد ايضا معادن كثيرة منها الملح في الجهات الشمالية والذهب في السنغال والسودان وقد تألفت شركات فرنسية لاستخراجها في السنغال وغينا والبحث عنه في الجهات الاخرى كساحل العاج ويوجد على السواحل مصايد كثيرة للاسماك وقد اوعزت الحكومة الفرنسية بتأسيس عدة شركات كبيرة لاستثمار خيرات تلك البلاد الزراعية تساعد في مشاريعها فتقطعها الاراضي الواسعة الخصبة وتسهل لها طرق اصلاحها وتباشر هي زراعتها بالطرق الحديثة مستعينة بالمهندسين والزراعيين الفيين وترسل حاصلاتها بفضل الخطوط الحديدية الى السواحل ومن هناك تنقلها البواخر الى الثغور الفرنسية والحركة التجارية في تلك البلاد آخذة في الزيادة بسبب زيادة مسطح الاراضي المزروعة منها وحظا لاهالي قاصر على استئجارهم في المزارع والمراعى . هذا مثال من الاستعمار الاوروبي وهكذا تغلب القوة على الضعف والحياة

والحركة على الجلود والموت ويفوز العلم على الجهل والغنى على الفقر والاتحاد والتضامن على التفرق والتخاذل . ان في هذا لبلاغاً لقوم يعقولون .

عبد الرحمن الرافعي
الحامى

أنباء العالم الاسلامى

— (النهضة الاسلامية فى الصين) —

— نقلًا عن جريدة —

بيسا أخبار (الهندية)

ألف الجنرال دولن كتاباً يتعلق بأحوال مسلمى الصين فى الوقت الحاضر وقد رأينا ان تقتطف منه بعض المعلومات الآتية : ان كثرة المسلمين فى الصين توجد فى ولاية (ابوتن) وعلماءها اكثر دراية وتقدما من اية ولاية اخرى وقد نشأ فى الصين فى هذه الآونة مذهب جديد يمنع كل الخرافات القديمة ويسمى هذا المذهب فى اللسان الصينى (بسيتكاؤ) واتباعه فى الاكثر اهل خبرة وتبصرة ولذلك لا تجد الدسائس الاجنبية رواجينهم وكذلك يوجد فى الصين علماء من تركستان ودار السعادة كمثل الشيخ على رضا افندى والشيخ حسن حافظ اللذين هما من علماء الاستانة ويجهدان الآن فى انتشار المذهب والدين والمسلمون اكثر وطنية وغيره من الوثنيين وقد وافقت على كل ما ذكرناه صحيفة (ديش كولونيل) الفرنسية حتى قالت ان جمهورية الصين ما نجت واستقرت فى تأسيسها الا بواسطة المسلمين وبهذا السبب اخذ المسلمون حظاً وافراً فى الحكومة الحاضرة وقالت البلاغ ان المسلمين والمغوليين وان كانوا متحدين فى الجنسية لكن فى العادات مختلفون اختلافاً عظيماً حتى فى الافيون الذى يعتبرون تناوله من العادات القومية كذلك النساء المسلمات ينفرن من الافيون ولا يمتن الى شرب الدخان والمسلمون توجد عندهم الشجاعة

والشجاعة اكثر من غيرهم ولذا تراهم يخربون فى سلك العسكرية بانشرائح وطيب خاطر وتجد مدارس الحكومة خاصة بطلبة العلم المسلمين . والمسلمون يسعون الآن لانشاء المدارس والمكاتب الاهلية وما اقتصروا على هذا فقط بل جعلوا التعليم الدينى اجبارياً لكي يتسنى لهم الدخول فى مدارس الحكومة العالية وهم وان كانوا اصحاب النفوذ فى الحكومة الا انهم لا يلتفتون الى الجنسية بل رائدهم العدل والمساواة وحب الوطن ولذا جعلتهم الحكومة الجمهورية ساعدها وعضدها وفقهم الله لما فيه سعادة دينهم وابعد عن قلوبهم الدسائس الاجنبية والسواس الشيطانية

— (المؤتمر الاسلامى الصينى) —

ارسل مكاتب جريدة وقت الروسية من بكين (عاصمة) الصين ما خلاصته بانمقد فى بكين المؤتمر العام بتاريخ ٢٢ يولييه سنة ١٩١٢ فدعوا المسلمين جميعاً بواسطة الجرائد والاعلانات الخصوصية للاجتماع فى جامع حوشيع (اى الشرق) فامتلاء الجامع ورحبته بالمسلمين وارسلت العربات الخصوصية لبعض الكبار كالمفتى عبد الرحمن وامثاله واستقبلوهم بالاحلال والاحترام وبعد ما تم اجتماع الناس جاء المندوب من طرف يوانشيكاى رئيس الجمهورية ووكيل آخر من طرف الوزارة الداخلية فالمندوب الذى جاء وكلاء عن الرئيس هو مسلم يدعى عبد الله من اركان المعارف وكل منهما خطب خطبة كلها عبر

— (خلاصة تقرير عبد الله افندى مندوب رئيس الجمهورية) —

ايها السادة الكرام: قد ارسلنى الرئيس يوانشيكاى لىكى احبى واهنى مؤتمركم نيابة عنه واين اشتراكه فى هذه الجمعية اشتراكاً قلبياً ولا يخفى عليكم ان فى تأسيس هذه الجمعية الاسلامية فوائد لكم وكذلك للوطن ان الوطن الآن ايها السادة فى اخرج وقت من اوقاته فاحتياجه للائتلاف والاتحاد بين ابنائه امر لا بد منه فالمسلمون الذين قد اشتهروا بين الانام بالشجاعة والشهامة والصدقة وحب الوطن ينبى لهم ان يجتهدوا فى سبيل حفظ الوطن اجتهداً بليغاً والحق يقال ايها السادة اننا كلنا ابناء هذا الوطن العزيز يجب علينا ان ننقذ بلادنا مما يحيط بها من الهلاك والدمار ونبدل النفس والنفس فى تقوية الجمهورية وتأسيسها . المسلمون ايها

السادة وان كانوا قد عاشوا احرارا في زمن الاستبداد ولكن بعد الجمهورية اذا اجتهدوا وسعوا في حفظ قوانينها واساسها فهي توسع لهم حقوقهم اكثر مما كان قبلا .

واما من حيث الديانة فلا يخفى ان شرف الاسلام ورفعته كما هو امر مقدس في نظر الصيبي كذلك هو مقدس في نظر الجمهورية وبهذا يكون المسلمون احرارا في دينهم وعوائدهم المذهبية — وما دام المسلمون يحافظون على دينهم بواسطة اللغة العربية فأول شيء اوصيكم به ايها الاخوان العظام اخذها بالنواجز ونشرها بين المسلمين في الاقطار الصينية ثم ختمها بقوله فليجى المسلمون ولتجى الجمهورية فصفق له الجميع ثم قام الوكيل المرسل من طرف وزارة الداخلية فقال ايها السادة العظام ان وطننا المكرم كان قد اوشك على الهلاك بسبب الاستبداد والجهالة فلما راي ذوا الافكار الراقية اقراضه واضمحلاله تركوا اوطانهم وارتحلوا الى البلاد الاجنبية واسسوا في تلك الممالك والعواصم جمعيات مختلفة سعت ليلا نهارا في انقاذ الوطن من التهلكة وجاهدت في سبيل ذلك بالاموال والانفس فالجمهورية اليوم هي عبارة عن ثمرة الجهاد لاولئك البواسل من الشيوخ وانشبنا فيجب علينا ان نجتهد للمحافظة على هذه الدرة القيمة والمرجو من المسلمين الذين بذلوا اموالهم وانفسهم لانشاء الجمهورية ان يعملوا على صيانتها وتقويتها وبعد تمام خطبته صفق له جميع الحاضرين ثم القيت بعده عدة خطب تدور حول المحافظة على الجمهورية وكانت موسيقى العسكرية اطرب الجالسين بعزف الحان الجمهورية ونشر طلاب المدارس ازهارا صفراء على الوكيلين ثم اتخبوا رئيساً للجمعية بالاتفاق رجلا من الاماجد يسمى عبد الله وهو شاب نجيب خرج من المدرسة الصينية وعينوا مفتي العاصمة عبد الرحمن افندي وكيلاً لذلك الشاب وبعد ذلك اتخبوا اعضاء الجمعية فانتخبوا من اكابر مسلمي العاصمة كمثل ابى بكر افندي من ايمة بكين ومحمد صالح افندي صاحب جريدة (آياقوبو) الاسلامية وبعد الكل قام الاستاذ السيد طاهر افندي فخطب خطبة بليغة بالعربية وهذه خلاصتها ان حياة الامم وسعادتهم مرتبطة برابط الاتحاد والاتفاق ولذا ترى كثيرا من الامم تعيش عيشة راضية بالتلاف واتحاد ابنائها يحافظون على حقوقها بل تبقى حاكمة ومسيطرة على غيرها وقد ختم كلامه بقوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) الآية

— (مقاصد الجمعية الاسلامية في بكين) —

الغرض الاول من تأسيسها السعى الحثيث في ترقى مسلمي الصين الذين عاشوا منذ قرون تحت سيطرة المذنبين بعيدين عن التعليم والتربية والصناعة والتجارة حتى تسود الاخلاق الاسلامية والعوائد الدينية فهي تسعى وتجتهد لحل المسلمين على الاخذ بدينهم القويم والاشتغال بالمسائل الاقتصادية والتجارية ومركز هذه الجمعية يكون في بكين وستكون لها فروع اخرى في كل نواحي الصين حيث يوجد المسلمون وقد طبعت برنامجها لتبين غايتها ومناصدها وقد نشرته بين المسلمين وارسلوا كذلك نسخة الى رئيس الجمهورية للتصديق عليها واحالتها الرئيس الى جهة الاختصاص وقد اعجب كثيرا بهذه النهضة الاسلامية العظيمة . وسنشر في العدد الثاني تفصيل البرنامج .

— (انتباه الاسلام في روسيا) —

كثير من المسلمين لا يعلمون احوال اخوانهم في الدين المحكومين بالامم المسيحية ودرجة رقيهم المادى والادنى ومنهم من يعتقدون انهم يتضيق الامم الصليبية عليهم عمارة عن العلوم خرق المكاسب محرومون من كل ما يمود عليهم بالنجاح ولكن قد شاهدت في سياحتي في اكثر الاقاليم وسمعي في مناكب الارض ابتغاء الوقوف على حالة اخواني المسلمين في ارجاء المعمور انهم انفجروا من الضغطة واخذت اجسامهم تبرا من العمل فطفقوا يلجون ابواب العلوم والمعارف فاليوم تراهم دائبين على تحصيل منافهم المادية بكل جد منكين على درس العلوم بمنتهى الكد وبذلك يصح ان نقول قد بدا والله الحمد والمنة الانتباه في العالم الاسلامي ينمو ويتشع فترى العلم في ترق عظيم وتقدم محسوس فاني اجتمعت بكثير في اماكن متفرقة ودقت احوالهم الحاضرة والماضية وتبعتها ونظرت في مستقبلهم .

وسأقص عليكم قبل كل شيء آخر كلمة هي نتيجة بحثي وهي ان مستقبل الشرقيين عموما والمسلمين خصوصا في شروق والغربيين في غروب . ولا ارى لزوماً لاثبات ذلك فانه قانون طبيعي . لا يمكن ان يتغير او يتبدل .

وسأعرض عليكم أولاً بعض حقائق عن انتباه الاسلام عنوان مقالتي هذه تتعلق بمسلمي روسيا وطني ولا اذهب بك بعيداً لتعلم احوال مسلمي روسيا بل متى الفتنا نظرنا الى احوال مسلمي روسيا قبل خمس وثلاثين او اربعين سنة لا يمكننا ان نجد باسم العلوم والمعارف سوى مدارس قديمة ولا يعلم في هذه المدارس غير العلوم الدينية واذا ما اردنا البحث عن ادبائه التتر في ذلك الزمن يمكن ان نجد اثنين او ثلاثة يقرأون ويكتبون . ولم يخلفوا آثاراً ذات بال بعد القيوم الناصري وشهاب الدين المرجاني وآق ملا وملوكاي ولا اثر للمكاتب الابتدائية اصلاً وقتئذ وان وجدت فترى بهامناً لا يحسن التلفظ بكلمة المكتب بل يقول ذهب الى (المفتك) وجئت من (المفتك)

وكان منبع العلم بلدة بخارى فشرف العلم منهصر فيها ومرجع الاسلام لها وعدد المحصلين في مكاتب الحكومة يتراوح بين الاثنين والثلاثة وعلى الاكثر يبلغ الخمسة وهم مكروهون للغاية في ملاء من المسلمين لا يقل عن اربعة او خمسة ملايين . ومتى قاموا بواجبات دينهم يستحقهم المسلمون وينظرون اليهم بازدراء واما الثروة فلم يكن في روسيا اجمعها مسلم مثر . ولا تجد من يعرف اللسان الروسي الا نادراً وان وجدت فتجد شخصاً او شخصين في الولاية باطرافها يتكلم به ناقصاً جداً .

وبعد ان اتى حين من الدهر على مسلمي روسيا بهذه الصورة نرى اليوم حالهم في تقدم يذكر وترق يشكر رغماً عن قلة تغيير نظام المدارس فان الادباء والشعراء والمحررين اصبحوا يعدون فيها بالمئات والمؤلفين بالآلاف والمكاتب الابتدائية وان لم اعلم عددها لكن اعلم ان اغلب كتبها التي تطبع تبلغ في كل سنة من الخمسين الى الستين الف بل الى مائة الف وعدد الجرائد اليومية والاسبوعية اكثر من عشرة وفي كل سنة تنشر كتب في الآداب الجديدة باسماء مختلفة لا تقل عن العشرين الى الثلاثين وقد ترجمت تاليف كثيرة من اللسان الروسي والعربي والتركي والفرنساوي . ونشأ من مكاتب الروس مئات من التلامذة . كما دخل آلاف من شبان التتر اليها . مع محافظتهم جميعاً على اخلاقهم المالية يسمعون من جهة اخرى في تنبيه وايقاظ الفكر الملى وقد نشأت الوف تتقن اللسان الروسي بل ربما تشارك الروس في آدابه وتستفيد من جرائده على ان في النسوة المسلمات طائفة من المتكرات وتألقت منهن جماعات مخصوصات بالمحذرات الاسلامية ولهن رسائل ومجلات ولدى مسلمي روسيا مطابع كثيرة ومؤسسات خيرية وكتبخانات ومصانع

ومتاجر واكبر التجارات اخذت تنتقل من سنة لاخرى الى ايدي الاسلام . واغلب الذين يقرأون ويكتبون بالتتر يحسنون القراءة والكتابة بالروسي . ونجد الآلاف من الذين لم يدخلوا المكاتب يتقنون اللغة الروسية قراءة وكتابة وجميع ما ذكر هو ثمرة الحس والعشرين سنة الاخيرة .

نعم عندنا ترقيات كثيرة جداً حرية بالشكر والمفخرة في الواقع نذكرها كلها سنحت الفرصة كما اني سنتحف بعون الله تعالى قراءنا الكرام بماثر الانتباه الكثيرة المتعلقة باحوال الاسلام في سائر الممالك والله ولى التوفيق .

عبد الرشيد ابراهيم

— (الازمة العثمانية والهنود) —

ان الازمة العثمانية الحاضرة هاجت العالم الاسلامي ونهبت شعوره من ذلك ان مسلمي الهند غلاً دمههم غيظاً من هذه الحرب الطاحنة التي اضرمت على الدولة العثمانية ظلماً وبغياً فترى جرائدهم ملائى باخبار الاجتماعات التي تعقد في جميع انحاء بلاد الهند والتي تجمع فيها الاموال الطائلة مساعدة للحرب وللهمال الاحمر .

وما يجدر بالذكر هنا انه ليس الرجال وحدهم هم الذين دبّت في قلوبهم الغيرة بل للنساء كذلك اثر يحمدقانهن اخذن يعقدن الاجتماعات ويجمعن فيما بينهن اموالاً لا يستهان بها لنفس الغرض السالف .

ولنذكر على سبيل التمثيل اسمى الاميرتين الجليلتين صاحبتى السمو ملكة (يوهبال) وملكة (بارودا) فأما الأولى وهى حاكمة مسلمة فقد امرت بعمل اجتماعات في ولايتها لجمع الاعانات وقد تبرعت هى بمبلغ كبير من الجنيئات . واما الثانية وهى زوجة افضل حاكم هندي فقد تبرعت لمساعدة الهلال الاحمر .

ولم تقتصر التبرعات على هؤلاء فقط فان للنساء الفقيرات والاطفال ايدياً بيضاء في هذا العمل الشريف اذ ان الطفل الصغير يجود بدمهم يومه عن طيب خاطر تبرعاً منه للدولة العلية وقد كتبت جريدة (زمندار) انه في احدا اجتماعات السيدات المسلمات قامت احداهن وقد اخذت منها التحمس الديني مأخذاً كبيراً فباعته جميع مجوهراتها وحليها وتبرعت بثمنها للهلال الاحمر

— (الازمة التركية والهندوس) —

مما يذكر لهذه الحرب البلقانية انها اثر تأثيراً حسناً لم يعمد له نظير قبل في البلاد الهندية وذلك ان مسلمي الهند كانوا يتفوق باروبا ثقة عمياء ومن هذا نتج الخلاف بينهم وبين مواطنيهم الهندوس المجوس الذين لا يألون جهداً في سبيل استقلال بلادهم وخلاصها من الحكم الاجنبى ولكن هذا العام عام ١٩١٢ ازال ما على ابصارهم من غشاة فأروا كيف كانت دسائس اوربا وكيف تدبر وكذلك فظاعة روسيا في فارس وايطاليا في طرابلس وفرنسا في مراکش اقنعت مسلمي الهند ان المسيحيين هم اعداء الاسلام الا ان الله العالمون على هدمه فانزعجت تلك الثقة الكاذبة تماماً من قلوبهم وقد رأوا انه من مصلحة بلادهم ان يمدوا يد الصفاء الى اخوانهم الهندوس ويتحدوا معهم قلباً وقلبا وقد كان ذلك بالفعل

قالت جريدة (زمندار) ان الهندوس افادوا في هذا المقام قائم عقدوا المجتمعات وجموا الاعانات للدولة العثمانية باشتراكهم مع اخوانهم المسلمين تارة وعلى حدتهم تارة اخرى . وقد جاء في نفس الجريدة المذكورة ان المستر (سرندر ناتى بنرجى) وهو من زعماء الوطنيين قام في أكبر اجتماع في كلكتا وقال (أتمنى من صميم فؤادى ان يدوم استقلال تركيا وفوزها باعتبارها دولة شرقية) وقال كذلك المستر (بين جامدارا يال) وهو احد مشاهير الوطنيين (تتوقف حياة مبدأ الوحدة على حياة تركيا فموتها يموت هذا المبدأ وبحياتها يحيا) ويكفى ان نقول باختصار ان هذه الحرب البلقانية مع بعض حوادث اخرى ذكرناها سابقاً كانت سبباً في اتحاد المنصرين الهنديين ولم شعهمما .

— (شعور الهنود ازاء الاحوال الحاضرة) —

جاءت الجرائد الهندية كزميندار وبليد ووطن مملوءة بأخبار الهند وشعور المسلمين ازاء دولة الخلافة .

ان مسلمي الهند قد أخذ منهم التأثير بما اتت به الكوارث والحوادث على دولة الخلافة ولذلك استت الجمعيات الكبرى في دهلـى - وكلكتا - وبمباى - وامرتسار - ولاهور - وكراچى - ومدراس - وراكون - مع فروع اخرى بكل نواحي الهند حتى في الولاية والمديريات والقرى وكلهم يبذلون الاعانات بطيب خاطر وحماس شديد حتى المسكين الذى ليس عنده الا قوت يومه يدفع ما عنده وهو مسرور والجميع يسعون لتقديم اموال كثيرة لتكون قرضاً للحكومة العثمانية

ترده لهم متى حسنت حالها وخرجت من هذه الازمة الحاضرة ظافرة ومن السار ان الوثنيين يشتركون في المظاهرات والاعانات مع اخوانهم المسلمين كتفا بكثف حتى ان مستروامو درداس الوثنى والمثرى الشهير في بمباى الف بمشة كبرى للهلال الاحمر بواسطة انجمن اسلام من ماله الخاص لارسالها الى الاستانة ففسر المسلمون بحميته الوطنية وهم يمتدحون هذه الفيرة والشهامة اساساً متيناً للاتلاف والاتحاد بين المسلمين والوثنيين ولما انعقد المؤتمر المسمى بكانكرس الذى لم يحضره الا الوثنيون قام مستر لال موهن كوش الوثنى الشهير وخطب الجميع وقال ايها السادة ان اخواننا الاتراك قد اصابهم ما اصابهم بسبب الحروب الحاضرة ما يوجب علينا ان نواسيهم ونعينهم بكل سرعة الاعانات الكافية الى الاستانة كي نستجل هذه الفيرة الوطنية في التاريخ لكي تكون ذكراً للاولاد والاحفاد الآتين .

ضحايا المدنية المسيحية

— (في القرن العشرين) —

من المعلوم ان زعيم الحركة البلقانية ونعنى به فرديناند ملك بلغاريا قد قرر في منشوره الذى انبأ به جيشه بنشوب الحرب انه يعان الحرب باسم المسيحية لاعتناق ابنائه ملته : بلغاري مقدونيا من نير الحكومة العثمانية الاسلامية وكذلك حذا حذوه ملك الصرب وملك اليونان وكان سياسيو الحكومات البلقانية الاربعة يعلنون على رؤوس الاشهاد ما بين كل آونة واخرى انهم يريدون انقاذ مسيحيي الروملى من تحكم العثمانيين المسلمين فالجرب البلقانية اذاً حرب صليبية اضمرت سعيها اربع حكومات تزعم انها بعد انفصالها من جثان الملك العثماني استمدت انوار الحضارة من الغرب واغتذت لبنان المدنية من ثدى اوربا وعضدتهم جبهة او خفية ثلاث دول كبار يزعمن انهن آخذات بنواصي العلوم ومحركات النوع الانساني وتناشرات لواء السلام الذى ظل نحو ثلاثين عاماً يخفق فوق صرح اوربا . ولقد كان علماء اوربا وساستها يهتموننا نحن معاشر المسلمين بالغلظة والوحشية ويرمون

وجالوا بانحاء مفتشين بحجة البحث عن السلاح كدأهم في كل عمل من هذا القبيل. فاستولى الهلع على نفس صهرى المسكين. وكان قد ارتأى من الضرورى ان ينجأ تحت الارض دراهمه وحلى زوجته ومن حسن طالع ان هؤلاء المتقين لم يذهبوا الى بيته فأمن بذلك صهرى من طائلة اغتيالهم وسلمهم.

وانا ادع الى قرائكم امر الحكم على مدينة الحكومات البلقانية المتحدة وعلى الاخض مدينة اليونانيين التى بدءوا يدخلونها فى الجهات التى احتلوها.

ولا شك فى ان هذا الخطاب الصغير انما كتب عقب دخول الجنود المتحالفة سلانيك اى قبل توغلها فى القضاة والاجرام.

ونشرت جريدة البستر لويدي ان قد جاء اليها من آيتنا عاصمة اليونان ان قد وصلت معلومات مقلقة من ارطه الى وزير الخارجية اليونانية تفيد ان اليونانيين لا يزالون يهيمون ويحرقون القرى الكائنة فى اقليم زاجورى (الايير) وكتبت جريدة الاستمبا الايطالية ان عدداً عظيماً من المتطوعين الايطاليين الغاريبايين غادروا الايير لانهم لم يشاءوا ان يقاتلوا الالبانيين ولان اليونانيين اقرقوا كثيراً من الجرائم والفظائع.

وجاء فى جريدة الكولونيش زايونج الالمانية ما يأتى :

لقد وصل المخلصون الى هذا البلد وجلبوا معهم الرعب الذى نشره بين الاهالى الهادئين. وعلى الرغم من اعلان الحكم العرفى ومن وجود ملك وولى عهد واميرة ملكية وبعض الامراء الملكيين فقد اضطر السكان الى اغلاق مخازنهم على اثر ما اقرقه الجنود الاجنبية من الامور الفظيمة.

ومن ذلك مصادرة وجهاء المدينة فى رابعة النهار على قوارع الطرق وهم سائرون مطمئنون بحجة التحقق بما اذا كانوا يحملون اسلحة ام لا وتجريدهم من كل ما يملكون وتفتيح الجنود الفاتحة المخازن والبيوت فتسلب ما فيها وهذا ما ادى بالطبع الى وقوف دولاب الحركة التجارية.

واما الادارة العرفية فانها اسم على غير مسمى اذ فى استطاعة البلغاريين واليونانيين ان يطلقوا اسلحتهم كما يشاؤون ليلاً ونهاراً.

يقول المثل القديم ان الحرب تجعل الاخلاق وحشية. ومع ذلك فان الغالبين اذا كانوا حاصلين على كل الوسائل التى تمنع من اقتراف الآثام ولا يستعملون هذه

ديننا بالقسوة ويسمون دين السيف كما كانوا يسمون هذا القرن بقرن الانسانية قرن الاختراع والابتداع قرن الوفاق والسلام. فما بال الحكومات البلقانية بعد ان امكنتها غفلتنا تنحى على رقاب المستأمنين مناو تسوم الضعفاء والشيوخ والاطفال انواع العذاب والنكال وتسال من اعراض مصوناتنا ما بين اوانس وزوجات وامهات ما عفت عن امثاله جيوب اسودنا يوم شئت مراد بحيشه الجرار رجال البلقان فى سهول قوصوه ويوم دخل غزاتنا الفاتحون سلانيك تحت امره البطل المغوار يلدرم بايزيد؟ بل مبال اوربا تسمع بانباء هذه الفظائع التى تقشع من هولها الابدان ولا تبدى حرا كاكلن الذين يسامون الهول والعذاب ليسوا من نبي الانسان؟ اليست اروبا اليوم هى التى طالما شنت علينا الغارة كلما اقتص بعض عامتها من غوغاء الارمن او الاروام او الصربيين او البلغاريين لا اعتداء هؤلاء عليهم بقصد تحريك السواكن وحمل الدول الاوربية على التداخل فى شئون الدولة العثمانية وتخليص العاصم المسيحية المندمجة فيها من تحت حكمها؟ وهل بلغ من امر التعصب الدينى ان تفرق دول اوربا المتحضرة بسبب الدين ما بين انسان وانسان؟ على اننا لا نريد الآن ان نعاب اوربا او نستصفها ولكننا نريد ان نطلع الملا الاسلحة فى مشارق الارض ومغاربها على ما يقع فى القرن العشرين وفى القارة الاوربية وباسم الديانة المسيحية. واننا نجتزئ بما نوردته الآن عن الشروح الضافية التى وردت فى الصحف العثمانية وفى الصحف الاوربية لان ما كتب فى هذا الصدد شئ كثير يحتاج الى بحث طويل.

كتب احد العثمانيين كتاباً وجيزاً الى جريدة الجون تورك بتاريخ ٣٠ ديسمبر سنة ١٩١٢ يقول فيه :

« لقد تسلمت خطاباً من احد اقربائى القاطنين بسلانيك وانا انشره فى جريدتكم قيما بواجب الوطنية العثمانية. قال لى قريى :

اتم تعلمون ان اليونانيين والبلغاريين والصربيين دخلوا مدينتنا وانه من المزعج والمفرع ان يدخل هؤلاء الغلاظ المتوحشون مدينتنا سلانيك الشقية الصغيرة. فلقد شرعوا من اول وهلة يسرقون وينهبون ويقتلون وكان اليونانيون اكثرهم اقداماً على الاجرام.

ولما دخلوا البيوت بحجة تجريدها من الاسلحة وهم انما يقصدون سرقة النقود والحلى. ومن هذا القبيل ما قصه قريى مما وقع لصهره الذى كان متولياً ادارة احد البيوت التجارية بسلانيك. قال : « لند دخلوا محل صهرى

الوسائل على الرغم من وجود اناس ذوى شان عظيم فى سلالتيك فان هذا الجود يعتبر حالة داعية الى الاسف العظيم . وكل الجرائم التى تتجاوز كل حدود النظام والطاعة العسكريين قد رآها عيانا الوف من الجنود بل من حملة من شاهدوها ضباط بلغاريون كانوا يرون الجنود اليونانية تهاجم الاتراك والارناؤود المساكين العزل من السلاح اثناء زوحاتهم وغدواتهم فى الشوارع .

ولاهم للاهالى الآن سوى الشغف لشديد بالآونة التى يرحل فيها المحتشدون الطاغون عن المدينة بسلام . اما الجنود اليونانية فتخرق الشوارع فى المركبات وهى مطلقة بنادقها ومسدساتها بل كثيراً ما تطلق العيارات النارية فى القهاوى والاسواق . وقد تبلغ الطلقات التى تدوى فى جهة واحدة ٥٥٠ فاكثر .

وجاء الى جريدة التيمس من سلالتيك بتاريخ ٢ ديسمبر ما يأتى :

لقد رويت ارض مقدونيا بدماء الضحايا الابرياء . وذلك لان البلغار يرين تركوا مقدونيا بعد فتحها للجنود غير النظامية اى لرجال العصابات الثورية التى بادراكها حرية العمل كما تشاء اجرت مذابح لا تدخل تحت نطاق الحصر وعلى الخصوص فى جهة اورات حصار وجهة دأده اغاج اما المذابح التى حدثت فى قوله فقد اقترفها الأرمين الذين التحقوا بالجيش البلغارى كمنطوعين .

وجاء الى التيمس ايضا من شتنيه عاصمة الجبل الاسود بتاريخ ٢ ديسمبر :

تفيد المعلومات المستمدة من المصادر الحرة بالثقة والاعتماد ان الجنود الصربية التى كانت متقدمة الى الادرياتيک قد اقترفت فظائع هائلة ضد الالبانيين وبلغ من همجية اليونانيين الذين احتلوا سلالتيك انهم قبضوا على رئيس مستشفى الهلال الاحمر العثمانى الدكتور ناظم وحلوه قسراً الى اينا وارادوا ان يديروا هذا المستشفى بواسطة اطباءهم ليزهقوا نفوس المرضى والجرحى من المسلمين ولكن طبيباً فرنسياً اسمه دريفوس كان موجوداً فيه ابى على قول جريدة الطان ان يسمح للطباء اليونانيين باحتلال مستشفى الهلال الاحمر واحتج لدى قصى فرنسا وانجلترا ورفع الراية الفرنسية فوق المستشفى فحماء بذلك من سرقة وعبت وفضاعة اليونانيين

ونشرت جريدة تصوير افكار بتاريخ ٩ ديسمبر كتاباً ورد اليها من احدى السيدات المسلمات المقيات بسلالتيك وقد جاء فى هذه الكتاب ما يأتى :

« لم تبق واحدة من قريباتى ولا من صواحي ولا من جارأتى القريبة منى

اى البعيدة لم يصبا سوء الطالع بفقدائها كل ماتملكه وتجردها من ائمن واشرف شئ وهو عرضها الطاهر بواسطة الجنود اليونانية . . . والنساء المسلمات يمتن من الجوع ولكنهن لايجرن أن على الظهور فى الطريق بقصد شراء الخبز .

ولقد كن فى احدى المرات وهن عابرات الطريق عرضة لاعتداء الفاتحين باحط وافظع ما يمكن تصوره . وارتأت ابنة جارتى وزوجة ابنا ان تقتديا عرضيهما بكل حليهما التى وهبتها للجنود اليونانية راجيتين منهما اخلاء سبيليهما وعدم ايداء طهرها . بيدان هؤلاء الاجناد يقبلن الحلى بدون ان يمتنعن عن التراسى على البائستين وانظهار افظع خصائصهم البهيمية لهما . « وكتبت احدى صحف سلالتيك فى اواخر نوفمبر ما يأتى :

« يوجد امام تكنكات زيتنك نحو الف من الجنود العثمانيين المجردين من الاسلحة مقيمين تحت الحيام شرمقام . فتراهم بين ركاب من الاوساخ ينام بعضهم لصق بعض بدرجة لا مكانة بعدها للاضرار بالصحة العامة . وعدا ذلك اصبحت المدينة مهددة بالاقدار وجيف الحيوول الملقاة حول المدينة بحالة تعفن وتحلل . ولقد كانت هذه الحيف مرعى للكلاب والطيور الضارية فلما دخلت فى دور التحلل عاقها الحيوانات المفترسة فكيف تأثر هذه المضار بالجنود المساكين وبالاهاالى القاطنين اهالى المدينة . «

وفى العشرة الاولى من شهر ديسمبر عمدت العصابات البلقانية الى مدينة كليسوره (بقضاء كاستوريا) فاضرمت فيها النيران حتى اتت على آخريت منها فهلك عدد عظيم من سكانها المسلمين فى ثنايا اللهب .

وجاء فى جريدة الجون تورك الصادره بتاريخ ١٢ ديسمبر سنه ١٩١٢ ما يأتى :

« تلقينا من اوثق المصادر التى لا نزاع فى معلوماتها الاكيدة ان اليونانيين والبلغاريين لا يزالون مستمرين على الفظائع التى يقترفونها فى سلالتيك بدون شفقة ولا رحمة ضد المسلمين .

ففى يوم السبت ٩ نوفمبر دخلت عصاية بلغارية مؤلفة من ٤٠ رجلا غارقين فى اسلحة قهاوى جهة قلعة وانتزعوا من المسلمين ساعاتهم ونفودهم بالقوة اذ كانت الساعة اذذاك الاولى ليلاً بالحساب الشرقى . ومن الغريب ان رجال مركز البوليس الموجود امام هذه القهاوى لم يحركوا ساكناً .

ودخل رجال العصابة في الساعة الثالثة من الليلة نفسها بيت بهلول بك بواسطة سلم وسلبوا حليه وكل ما فيه من الاشياء النفيسة .

وفي هذه الليلة دخلوا ايضا خان صالح آغا وانقضوا على المهاجرين فسلبوهم سائر ما كانوا يمتلكونه . وبعد ان جردوهم من سائر ممتلكاتهم اخذوا قسراً ثلاثاً من نسوة المهاجرين قيات وحملوهن الى المقبرة الكائنة على مقربة من الخان ولبنوا يتمعن بهن تمتعاً بهيمياً طول الليل حتى شروق الشمس .

وفي يوم الاثنين طفق الموظفون اليونانيون يبحثون في كل مكان عن الضباط العثمانيين وكل من وجدوه منهم يرسلونه فوراً الى اماكن غير معلومة . ولقد تجاوزت المظالم التي اصابت المسلمين كل ما يمكن تصوره من اعمال قطاع الطرق القتل المجرمين وقنصل الدول الاجنبية يقدمون يومياً الى دولهم انباء هذه الاحوال المزرعة .

على ان كل ما تقدم ذكره لا يكاد يذكر في جانب الفظائع التي اقدم على ارتكابها اولئك المتكلمون في مقدونيا والباليا فقد اثبتت الانباء الرسمية انهم استأصلوا بالحريق والهدم قرى عديدة وبعض تلك القرى لم ينج من سكانها فرد واحد وهذه فظائع لم يسمع العالم بمثلها الا على عهد نيرون في روما وعند محو قرطاجنه . واليك احصاء من هذا القليل نشرته جريدة الجون تورك في عددها الصادر بتاريخ ١٧ ديسمبر سنة ١٩١٢

« لقد ابلغت اليينا قائمة تتضمن القرى التي احرقها ودمرها اليونانيون المتوحشون بعد ان سلبوا ما فيها من اثاث ومتاع وجميعها في قضاء اورات حصار :

قرية ارمونجيك — امكن انقاذ ستة بيوت من الحريق والنهب من الستين بيتا التي كانت القرية مؤلفة منها .

قرية ابيكسوزلو — بقيت اربع دور من تسعين بيتا .

قرية پوتيرنج — بقيت خمسة منازل من اربعين منزلاً .

قرية اريكه — لم ينج من سكان هذه القرية التي كانت تحتوى ٢٠ منزلاً سوى شخصين .

قرية ريان — لم ينج احد ولم يسلم شيء من هذه القرية التابعة لناحية قره طاغ والتي كانت مؤلفة من ستين بيتاً . بل ذهبت القرية ومن فيها طعمة للحريق والهدم والقتل والسلب .

قرية كيركوت — كانت هذه القرية مؤلفة من ٢٠٠ بيت فلم يبق منها الحريق اثرأ وانما اختطف الفلاحون المسيحيون كافة القيات والنساء الشابات وذهبوا بهن الى حيث شاءوا .

ستيفا — كانت هذه القرية مركبة من ستين بيتاً فلم يبق لها اثر في الوجود .

على ان اليونانيين ارادوا ان يتلاها بدماء الابرياء في ثغر عظيم كسلانيك فذهبت ثلة من اجنادهم الى فندق وقهوة اسكوب الذين يديرها عبد الرحمن افندي وطلبوا اطفاء مصابيحهما وفي الوقت نفسه اخذوا يطلقون النيران بغير حساب من قبيل المداعبة على القهوة والفندق فقتلوا ٢٠ شخصاً وجرحوا ٣٠ ثم حمل الجنود جثث القتلى والجرحى ونقلوها الى حيث لا يعلم احد .

ومن افظع ما يسطره التاريخ لبربرية المدنية المسيحية الحديثة ان البلغاريين عمدوا الى لحي الشيوخ الفانين من اهالي صالى تكية فقتلوا شعورها ثم نهبوا القرية ولم يدعوا فيها شيئاً . فالكهول المعجزة الذين افناهم الدهر اصبحوا كالاجنة في البطون او كالاطفال الرضع يجب الاشفاق عليهم والتلطف في معاملتهم يقابلون من هؤلاء اللصوص بمثل هذه المعاملة الوحشية التي لم يرو التاريخ لها مثلاً لالكونهم اجترحوا انما اوشقوا عصا الطاعة بل لمجرد كونهم مسلمين .

وكتبت جريدة الديلي ميل في العشرة الثانية من شهر ديسمبر سنة ١٩١٢ « لقد اندفع البلغاريون يسلبون و يذبحون الاهالي المسلمين القاطنين بجهة جيوجيلي على بعد ٨٠ كيلو متر من الشمال الشرقي لسلانيك فلما رأى هؤلاء الاهالي ما حاق بهم من الذل والهلاك اوفدوا فريقاً منهم الى سلانيك يتطلب الحماية والانقاذ . »

ومع ان السياسية تقضى على الفاتحين ان يراعوا مقتضيات الاحوال فيعاملوا كل جهة بما يوافقها من ارهاب او مصانعة حتى تثبت اقدامهم ويستتب لهم الحكم فان اليونانيين قد خالفوا كل اصول السياسة والاستعمار ولم يفرقوا في المعاملة الوحشية ما بين اهالي سالونيك التي كان جيشها قد حارب في مبدأ الامر قبل تسليمها وبين اهالي جزيرة لينوس الذين لم يحاربوا لعدم استطاعة القوة التي لديهم ان تقارع الاسطول اليوناني فقد روت جريدة الجون تورك بمسدها الصادر بتاريخ ٢٠ ديسمبر ان مسلحي جزيرة لينوس اصبحوا في حالة سوء

عقب احتلال الجند اليوناني جزيرتهم اذ استطالت فيهم ايدى السلب والفتك
 قاول ماصنعه اليونانيون قبضهم على تسعة من اكبر سرقة المسلمين بحجة انهم
 يدبرون مؤامرة اسلامية ضد المسيحيين وبدلاً من محاكمتهم اخفوا آثارهم
 عن الابصار فاذا ما سأل دوشان عن هؤلاء الوجهاء قيل له انهم ارسلوا الى يره
 لمحاكمتهم والحقيقة انهم قتلوا افطع قتل بجهة مودرسكي بجزيرة لينوس نفسها .
 واذا رأى مسلمو هذه الجزيرة انهم في حالة لا تطاق ارسلوا تقريراً بحالتهم الى
 والى ازمير وقد قالوا في هذا التقرير انهم لا يستطيعون مغادرة الجزيرة لانهم
 اصبحوا مسجونين فيها وان جميع الموظفين العثمانيين قد اتى القبض عليهم وارسلوا
 ايضاً الى جهات مجبولة وان ٨٠٠ من الاهالى المسلمين ذهبوا شهداء الاهوال
 والفظائع الوحشية من سائر انواع التعذيب والتنكيل .

وكل ما ذكرناه لا يذكر في جانب ما سنورده في العدد الآتي من النظم التي
 ارتكبتها الجنود المتحدة في الروملى وفي جزر الارخبيل مما تقشعر لهوله الابدان
 ويمكن اظهار فداحة هذه الاهوال من شئ واحد وهو ان عدد الذين قتلوا
 في الروملى ١٠٠٠٠٠٠٠ مسلم .

حقوق الامة الاسلامية

{ من حول الدولة العلية }

للمسلمون في اقطار الارض بتألب الامم المسيحية على الدولة العلية وهي
 دوله الخلافة الوحيدة حامية الحرمين الشريفين واجمت على احتلال املاكها
 كأنما هي نهب مقسوم واسلاب قتيل تحرك فيهم دم الحمية والغيرة على حامية هذا
 الدين الاسلامي فالتفوا حولها ولبوا نداءها فهم يتسابقون في مضمار الاعانت
 والاكتساب وبذل الانفس والثمرات متسارعين الى انتشالها من هوة الخطر بمعاودة
 واخاء ومساعدة ووفاء ومع كونهم في سبيهم المشكور وعمالهم المبرور يقضون
 واجب دينهم بل انهم يعملون في الحقيقة لانفسهم فالمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه
 بعضاً لا يمكن ان يقف هنا القلم عن التنويه بحميتهم وغيرتهم استعادة لاعانتهم
 واستنساناً لهمتهم. ومما يدل على ذلك توافد بعثات الهلال الاحمر من مصر فقد
 وصلت منها ثلاث بعثات كما وصلت ايضاً في المدة الاخيرة ثلاث بعثات من الهند
 من بين اعضائها الكرام اثنان من المجوس بعد مجافاتهم الطويلة لاخوانهم مسلمي
 الهند اذ رأوا ما احدث بالشرق من المدلهمات وما فاجاه من الاخطار ايداناً بجمع
 كلمتهم واصلاح ذات بينهم. كذلك تفعل الشعوب الاسلامية في مظاهرة الدولة العثمانية
 وقت الشدائد ومماثلهم في ذلك الامثل رجل غنى جداً ظل يضيق على نفسه
 ويحرمها الزاد الكافي والكساء الوافي والسكنى الطيبة حتى تمكن الضعف والمرض
 من جسمه ولاحت لبصره نذر سكرات الموت فهو هنالك يبسط يديه بالعطاء
 عارضاً سائر ما في خزائنه على من يمرضه ويداويه جائداً بنفائس ذخائره لمن يعده
 الابراء من تلك الادواء . ولو انه فكر في هذه العاقبة وامتع نفسه من قبل بالطعام
 الحيد والسكنى الطيبة واللباس الوافي منفقاً في سبيل ذلك بعض ماشحت به نفسه
 ايام العافية والصحة لسلم بلاشك من هذه الامراض الفتاكة ولبقى ماله من المال
 والذخائر مصوناً موفوراً . وكذلك لو ان المسلمين اتبعوا الحزم في اوقات الرخاء
 فجمعوا للدولة بضعة ملايين من الليرات لشترى بها سفن حربية اما قرصاً او هبة
 لما طمعت فيها الاعداء ولما تألبت عليها امم الصليب تنقص اطرافها وترزعج اركانها

وتنذر العالم الاسلامي جميعه بسوء العاقبة بما ترسله على هذه الدولة من الزرايا والبلايا فلو ان للدولة اسطولا عظيماً ما فكرت ايطاليا في امتلاك طرابلس ولا قامت رعايا اليونان تطمح في استلحاق بعض املاكنا وجزرنا بفضل ماضع منا ولكن كيف نأمن عليه اذا نحن لم نتخذ اسباب الوقاية ووسائل الدفاع منذ اليوم فهل يعسر على اخواننا المسلمين في اقطار الارض كافة وهم على ما نعلم من الهمة والحمية والغيرة الاسلامية لاسيما بعد ان ابصروا باعينهم ما الم بهم ولا يزال يلم بدولة خلافتهم الاسلامية وحامية دينهم الحنيف ان يجمعوا امرهم ويلوا شعهم ويقتصدوا من نفقاتهم اليومية ولو قليلا فقليل مع القليل كثير هل يشق على كل ولاية مثلا ان تجمع مقدراً وتبني به دارعة حربية باسمها مناسبة لشرورها ومجدها المائى والحاضر وتهديها لدولتها دليلاً قائماً على غيرتها ووطنيتها لا يمحوه كره الغداة ومرالشى اما مسلمو الهند والصين وغيرهم من كبار المتمولين ورجال الملايين فانا نعلم علم اليقين ان من بينهم رجالا لا يحصون عدداً يضارعون في الثروة بل يفوقون كثيراً ذلك اليوناني (أودروف) الذي يذكر اسمه كلما ذكرت مدرعته التي اهداها لدولته . ماذا ينتظر المسلمون بعد ان ابصروا الموت بابصارهم وبعد ان انمحت عن سطح الارض ممالكهم حتى لم يبق سوى هذه الدولة الفردة ؟ يرتقبون ان يصيب هذه الدولة لاقدر الله ما اصاب غيرها فينفضوا اذذاك للعمل والسعي في تأسيس حكومة جديدة الافليقيقوا فان دول الصليب ترقهم ابدالهم واذا كانت هذه الدول لا تنفك تنقض اركان الاسلام وتمحو معالم دوله فكيف يمكن المسلمين اذا نالت بنيتها من انشار ميت مجدهم وبمت فاني دولهم . فليفكر المسلمون منذ اليوم في مصيرهم اذا لم يقدموا من اموالهم ما يدراً الاذى عن حياتهم السياسية وجامعتهم المالية وان الله مع العاملين .

[مضار الخمر]

١

نسطع الادلة على صدق الدين السماوي وانصح البراهين على امانة الرسول

مطابقة احكامه للعقل السليم واتيانه بالحقائق العلمية والقواعد الفنية قبل ان تنكشف بثبات السنين فالدين والحالة هذه بمثابة استاذ للانسانية يقبها المضار الناجمة عن اشياء ما كانت لنتفقه حقيقتها الا بعد اجيال وتجارب تودى بعشرات الملايين من النفوس ولقد كان الدين الاسلامي الحنيف اول الاديان واشدها تحريماً للخمر داء الانسانية المضال فاقى من عذل الاغرار و تخالفة الجهلاء ومغالطة المكابرين ما حجب حكمة تحريمها عن العقول ازمانا طويلة بيد ان الله يابى الا ان يتم نوره وان ينصر دينه الحق على الدين كله فجاء العلم الحديث المدعم على المشاهدات الواقمة والتجارب العلمية والحقائق الدامغة فبين لنا حكمة تحريم الخمر وشرح مضارها الفادحة بما لم يبق بعده غاية لسائل .

الخمر هي سوائل بها مقادير مختلفة من الكحول الناجم عن تخمر المواد السكرية وليس المقصود بالمواد السكرية هنا معناها العرفي بل الكيماوي فالجريد والخشب وقشور البطيخ والشمام وغيرها تعتبر من المواد السكرية و اغلب الخمر تصنع منها اليوم بدل ان كانت قديماً تصنع من العنب والبلح وماء التخليل الصغير وما اختلاف اسماء المشروبات الا بسبب اختلاف مقادير الكحول في كل منها والمواد الملونة والمعمرة المضافة اليها فجميعها تحتوى على السم الزعاف (الكحول) عدو الانسانية الفظيع وعليه فلا ذكر مضار العامل الاصلى فيها بكل ايجاز حتى يدرك الملاء فضل القرآن عليهم ويعملوا باوامره حتى ينالوا السعادتين الدنيوية والاخرية .

اذا استعمل الكحول من الخارج فهو مطهر (قاتل للجراثيم المرضية المختلفة) وبما انه سريع التبخر فهو يتطاير حاملاً معه الحرارة المحلية من الجزء المماس له من الجسم فيولد فيه برودة تختلف درجتها بقدر الكحول الموجود فاذا كان كثيراً ولد خدراً موضعياً خفيفاً ولهذا ففي الحيات يمكن استعماله لترطيب الجسم به وتهيبط الحرارة ولكن دعك الكحول في الجلد يولد حرارة موضعية بسبب احتراق انخرته لاسماد الجلدية وتهيجها الخلايا لدرجة قد تكون كاوية ولهذا يستعمل الكحول كاساس للمروحات المعركة للملطفة فالكحول من اسلم واحسن المطهرات المنزلية ولكنه كلما استعمل في هذا الغرض مع انه يكاد يضارع البوريك والسليمان في هذا البسبب ومن خير المبردات الموضعية ومن الملطفات والمنفطحات الخارجية لانه ينفذ من مسام الجلد السليم .

رائحة الخمر قبيحة ينفر منها صاحب الطبع السليم و طعم الكحول حريف لاسع وله حرقة في الفم تشتد بقدر مكثه هنالك حتى انه ليخرب الغشاء المخاطي بسبب تحفيفه للمواد الزلالية اولا وامتصاصه للماء المتشبع به ثانيا ولا ادرى كيف يبلغ فساد الذوق ببعض الناس لدرجة التلذذ من هذا الطعم القبيح نعم انا قد لا امانع من تهيجت عليه اسنانه المتخربة اولثته الممتلئة دما اذا لم يجد لديه الدواء الشافي او عدم الطيب ان يستعمل الكحول مضمضة بضع دقائق فانه قد يوقف التعفنات الموجودة داخل السن المتخرب فيسكن آلامه نوعا ما ولكن افضل استعمال المكملات الحارة وزيت القرنفل او مسحوق البوريك او ماشابه ذلك . بمجرد وصول الكحول الى المعدة تحصل فيها نفس تأثيراته على الغشاء المخاطي للفم لسع وحرارة تؤدي الى حرارة موقنة بسبب توسع الاوعية الدموية الناجم عن تهيج موضعي بسبب هذا الضيف الثقيل ومحاولة الجسم التخلص من ظله واذاه وهنا تشب حرب بين الغشاء المخاطي والكحول فالاول وهو اساس الغدد المفرزة للعصير الهضمي يريد المحافظة على كيان نفسه الضروري لحياة جسم هذا الجاني المحتسى اقداح او جيوش العدو الفتاك والثاني يتمص المياح ويخفف المواد الزلالية ويخرب الغشاء المخاطي بقدر ما يكره هذا المعتود من الكحول الذي ان كثر فقد يجرد المعدة تماما من غشائها المخاطي وغدد العصير الهضمي ويبلوها بنزلة معدية حادة قد تصبح مزمنة بسبب استمرار صاحبها على شرب الخمر ونهايك بما تجره هذه الحال على صاحبها من الآلام وتعرضه للدواء قالمعدة بيت الداء وعلى تأثير حامض عصيرها المظهر يتوقف نجات الجسم من فتكات كثير من الجرائم وعلى تأثير قوتها الهاضمة تتوقف عملية تغذية الجسم ودوام عافيته وعند ما يشعر السكير بالحرارة في معدته يتجلبها رغبة منه في المزيد او انبساطا في الشهية فيزيدها نارا على نارا حتى تخونه قواه العقلية بسبب ماوصل الى مخه من الكحول المتص من المعدة فكيف عن غيه .

يمر ما تبقى في المعدة من الكحول بعد امتصاص اغلبه بواسطة الدم الى الامعاء فيمتص اغلبه بعد ان يؤثر على غشائها المخاطي مثل ماثر بالمعدة ويستمر ما بقى في سيره حتى يصل الى الامعاء الغليظة بعد ان يطرا عليه بعض التحولات بسبب عملية الهضم وهنالك يلاق مستعمرات الجراثيم المختلفة الضرورية لسلامة الجسم وحراسته من سموم فضلات

الطعام المختلفة فيقتل بمضها ويتغلب عليه ما بقى فيجوله الى ماء وحامض الكرونيك الا اذا كانت مقادير الكحول كثيرة جدا فقد تخرج آثارها مع المواد البرازية وهو امر نادر للغاية بيد ان هذا الحامض المتولد عنه يسبب في الدبر عند التبرز حرقة مؤلمة كاوية يشعر بها السكير ثاني يوم افراطه في احتساء هذا السم الزعاف الذي يزوقه لنا بالسة السوء وشياطين الاخلاق (الشعراء بخمرياتهم) فانار الكحول على الجهاز الهضمي من الفم حتى الدبر لسع وكبي وحرقة وتخريب تسبب نزلات معدية ومعوية حادة ومزمنة وتعرض الجسم لفتكات الجرائم وسموم الفضلات المختلفة الناجمة عن عملية الهضم المعتادة .

تجربة السكير علمته شدة حرقة الكحول ولسعه في الفم والمعدة والامعاء لدرجة كاوية فهو بدل ان يتمظ بذلك ويتجنب هذا السم الزعاف يحاول تخفيف الالم بمزج الخمر عند تناولها بمقادير كبيرة من الماء وهو عمل يقلل لسمها ولكنه لا يحول دون امتصاصها من جهة بل انه يؤدي فوق ذلك في المدمنين الى تمدد المعدة وما ينجم عنه من المتاعب المتعددة . يدعى بعض انصار الخمر ان شربها يطفى الظمأ ويقلل شرب الماء بينا الواقع يكذبهم اذ السكير من شدة ما يحوفه من الحرارة يشرب اضعاف اضعاف ما يشربه من لايقرب الخمر بل وربما اضعاف المحموم او من افراط في الاكل ويدعى البعض من انصارها انها تفتح الشهية وتساعد على الهضم وهو قول عليه شبه مسحة من الصحة اذ الحرارة الموضعية قد تجعل اعصاب المعدة تحس بالجوع لانه منبهها العادي وتوسع الاوعية الدموية مما يساعد على الهضم بتقوية العضلات وزيادة افراز العصير الهضمي ولكن قات من يدلى بهذه البراهين ان مثل هذه الحرارة الضارة كمثل الضوء الذي تراه العين اذا مضطت بشدة غلطا حسيّا منشأ العادة وان زيادة الدم لا يقاوم آثار امتصاص سم الكحول من جهة وتخريب الغشاء المخاطي بغدده المفرزة للعصير الهضمي فالكحول والحالة هذه يعيق الهضم لايساعده واكبر برهان على كذب دعوى انصاره القى الشديد الذي يعقب السكر وما هو في الحقيقة الاعملى يقوم بها المعدة للتخلص من تخريبات وكى هذا الضيف الثقيل الذي يأبى انصاره السكيرون الادعاء بحبه وفائدته للمعدة بينا هي تقذف في وجوههم الكالحلة هذا القى معتبرة اياه خير جواب لبهتانهم الميين ومن رأبى ان لاتعود المعدة على القيام بوظيفتها بمساعدة خارجية لانها تصبح في حاجة دائمة اليها اللهم الا اذا طرا عليها

كسل أو ارتباك فيداوى بالطرق الطبية الممقولة وخير للانسان ان يأخذ بمض
المقافير المرة قبل الطعام او قليل من بيكربونات الصودا او مقدار من ماء
الكلوروفورم لتوليد الحرارة الخفيفة بالمعدة وفتح الشهية للطعام .

عرف القارئ تأثير الكحول على الجهاز الهضمي وتبع القسم الذى اطرحه
الجسم بواسطة المستقيم فلنشرح له تأثير القسم الذى امتصه الدم ونسير معه حتى
مفارقه للجسم ليرى تخريباته ببقية اجزاء الاجهزة المختلفة . عمل الكحول فى الدم
كعمله بالجهاز الهضمي اولا يهيج الاغشية المخاطية التى تبطن بها الاوعية والى
هى ضرورية لتام الدورة حتى انه قد يحمل صمامية الاوعية الشعرية غير تامة فيسبب
ركود المصل الدموى بالانساج ومن ثم ترى حمرة وجنات السكرين فى بعض الاحيان
ومن شدة تأثيره على الاوعية وتهيجها اياها لايسمها الا الاستغانة بالادوية
الجلدية فتتفخ وتوسع اقطارها حتى تستوعب اكثر الدم وتمكن من طرد هذا
البلاء الكاوى بواسطة العرق وتشمع الحرارة بكثرة ابطالا للاثام الداخلية وبما
ان تأثير الكحول على الغشاء المخاطى المبطن للقلب وعلى عضلاته هو عبارة
عن التهيج ايضا فان قلب والحالة هذه يسرع ضرباته وتشد دروته سميا فى التخلص
من هذا الضيف المخرب وهذا العمل مع اتساع الاوعية الجلدية مما يزيد تشمع
الحرارة الحيوانية فى القضاء ويسبب سقوط حرارة الجسم خصوصا وان الكحول
يعيق الاحتراقات على ما سنصله ولهذا فبعض اطباء يستخدمون خاصية الكحول
هذه فى تخفيف الحرارة فى الحيمات العفنة .

يستمر القلب فى جهاده ضد هذا العدو حتى يتخاص من شره ان كانت
مقاديره قليلة او يدركه الاعياء ان كانت مقادير جيوش هذا العدو كثيرة فيرجع
الى حاله الاولى او اقل وكما استرجع بعض قوته عادى الى جهاده الا اذا حدثت
صدمة مخية اودت بجميع الجسم .

ليت تخريبات الكحول على الدم تقف عند هذا الحد بل هى تتعدى ذلك الى
الجيوش النظامية (الكرات البيضاء) والى سواد الامة الاعظم (الكرات الحمراء)
فهى اجسام حية وتأثير الكحول فى قتل الجراثيم والحيوانات الدنيئة قد فهم من
كلامنا على استعماله كطهر فهو ان لم يقتل هذه الكرات الضرورية للدفاع عن
الجسم ورد هجمات اعدائه الجراثيم عنه وحمل الاغذية اليه ونقل الفضلات عنه
فهو يعيق اعمالها ويضعف قواها نوعا ما حتى ان علماء فن العلاج يقولون انه

يقوى التصاق (الاوكسجين) اكبر الحياة بالكرات الحمراء فيعطل الاحتراقات
الحيوية وفوق هذا الضرر ترى الكحول يحول ضد امتصاص الخلايا للاغذية
وهضمها ويمتص منها الماء ويبقى كذلك الى ان يتم تحوله الى حامض كربونيك
وماء ويفرز بعضه بواسطة الاعضاء المختلفة ولهذا يدعى بعض انصاره انه يمكن
استعماله كغذاء لدرجة معينة ونى اقول لهم ألبس هذا الغذاء الذى يوقف
جميع الاحتراقات ويضعف جيوش الجسم ووظائفه الحيوية ويسبب تلف الكبد
وتعطيل خلاياها عن اتمام واجباتها المهمة لسلامة الجسم وعاقبته وليت الاغرار
الذين يشدقون بقولهم انا نشرب الخمر لاجل التدفئة وتوليد الحرارة يقرأون
هذه الحقائق ليعلموا ان مايشعرون به ليس بحرارة الصحة بل حرارة الآلام
التي تشعرها الاعضاء وان اتساع الاوعية الجلدية وتشمع الحرارة منها وتسخينها
الجلد ليس نتيجة شدة الاحتراق وارتفاع حرارة الجسم بل هى نتيجة محاولة
التخلص من سموم هذا العدو بالافرازات الجلدية ولو عقلوا هدامهم الله لادركوا
ان الكحول بمنع الاحتراقات وتعطيله هضم الخلايا للاغذية وامتصاصها يسبب
احتراق الاغذية المدخرة فى الجسم بصفة شحم او نشاء حيوانى ويضعف نفس
الخلايا ولهذا ترى السكر لاقل مرض يهزل وتظهر عليه علائم الضعف الشديد
وتطول مدة مرضه وتكون نسبة السلامة فى امراضه بنسبة خمسين فى المائة ممن
لايقربون الخمر وما ذلك الا لان هضم الغذاء فى حالم المرض اقل بكثير من درجة
الاحتراقات خصوصا المجهودات المبذولة داخل الجسم فى سبيل المحافظة عليه
من تخريبات المرض فبالزمن لاتمام الاحتراق يستمد الجسم من مواد المدخورة
وبما ان جسم السكر يكاد يكون خلوا منها بخلاف خلايا من لا يكرع هذا السم
الزاعف فهى قوية سليمة فلا عجب اذا كثرت وفيات الاول بنسبة خمسين فى المائة
الى الثانى ولا بدع اذا ضعف واشتد به الهزال سريعا وطالت مدة مرضه فهذا
جزء تقريظه فى مواهبه وعدم تحصينه جسمه واعداه الغذاء وتقوية الخلايا
ابان يحوه لمقارعة مرضه . اشد آثار الكحول فى الجسم تظهر فى المجموع
العصبى لشدة رقة ودقة تركيبة وصعوبة تجدد ذراته . يصل الكحول مع الدم كما
قذف القلب بسائل الحياة لتغذية جميع الجسم فيؤثر على المجموع العصبى من اعلى
الى اسفل اى من مراكز المخ العليا الى النخاع الشوكى تدريجا ويختلف
التأثير من تنبيه خفيف الى تهيج او الى صدمة شديدة بقدر كمية الكحول

الموجودة وآثار هذا التذبة تتجلى في كل انسان حسب مزاجه فن اعتاد الاعمال اليدوية والحركات الجسمية تراه يقفز ويضحك ويركض ويزعق اى انه عسى اقرب الاشياء الى الحيوان الهائج ومن اعتاد الاعمال العقلية والصناعات الكلامية تراه يخطب ويهذى ويأتى بالنكات المختلفة حتى اذا ما اشتد اثر الكحول بمخهما سقطا كالمصروعين وما احكم المثل للنسفي الذي طالما قرأناه في كتب المتقدمين القائل ان ابليس هو الذى زرع شجرة العنب فلما نمت ذبح عند جذرها قردا ورواها بدمه وبعد حين رواها بدم كلب ثم بدم خنزير ولهذا نرى السكير في خفة حركاته وهذيانه اشبه الاشياء بالقرود يصيح وكالكلب ينبج ويلهث ثم يخرج كالخنزير فراشه القاذورات وتخرج من فيه اشغالها وهو ما يطابق تأثير الكحول على المجموع العصبي ، تنبه قهيج فالعاء .

قلنا ان مقدار الكحول اذا عظم يسبب صدمة مخية تودى بالشخص لساعته وفي هذا بيان لتأثير وشدة تخريباته على الأعصاب وكل من درس علم الانساج ورأى كيف انها تتجمد بحفظها في الكحول وتفقده خواص ذراتها يعرف ان مقدار هذا السم مهما قل له اسوأ اثر على المجموعة العصبية وكفى القارئ ان يعلم ان حوالى السبعين في المائة من سكان مستشفيات المجاذيب هم ضحايا الكحول بينما الباقيون هم من ضحايا الزهري وبقيّة المغيبات والامراض الاخرى. ان تأثير الكحول على المخ لا يقتصر على هذه الاحوال الحادة بل هنالك مرض التسمم المزمن بالكحول حيث يصاب صاحبه بجرانات شديدة وهذيانات ورعشة الاطراف وضعف في الشهية وقلة تدريجية في القوى العقلية فشلل عام ففوت زؤام وما احرى السكارى بطاعة قول الشاعر (طاق الحرة ان كنت فتى كيف يسمى في جنون من عقل) اذا اضفنا الى ما تقدم افاضة السكير بجميع اسراره وفضحه دخائله وارتيابه جميع القبائح التي قد يجترحها المجنون بسبب تأثير الكحول على مداركه نرى صدق قول ناظر الحقائق الانجليزية وكبير قضاة النقض والابرار عندهم المدعم على الاحصائيات الرسمية حيث صرح في مؤتمر محاربة الخمر الذى عقد بلوندره ١٩٠٩ بان تسممين في المائة من جرائم الجور البريطانية سببها الادمان على الخمر وخصوصا القوية منها وكفى القارئ ان يعلم ان في مقاطعة لوندره وحدها في سنة ١٩١١ حدثت اكثر من ٥٥٠٠٠ جنحة بسبب السكر. كل هذا يبين للقارئ بصورة مصغرة بعض آثار الكحول في المجموعة العصبية

ولو اضفنا الى ما تقدم تأثيره في عقل نسل السكير ادر كنا فظاعة جريمته على نفسه وعلى عقله وخير ما اقدمه للقارئ مثلاً في هذا الباب حوادث احد احصائيات الاستاذ موت ذكرانه كان طبيب عائلة فلام لا تقرب الخمر وليس في عائلتها من يشربها والاب لم يكن بعائلته من يكرع هذا السم قط ولكنه هو اعتاد تناوله منذ عنفوان شبابه فتجنن في اخريات ايامه ومات بالشلل العام نتيجة التسمم المزمن بالكحول بعد ان خلف ثمانية اولاد الخمسة الاول منهم اصاب كل واحد منهم يدخل في عقله وزج من اجله بمستشفى المجاذيب اكثر من مرة وقضى نحبه من آثاره والثلاثة الباقيون لم تظهر عليهم علامات اى امراض عقلية اما الام السكيرة قالوا لها يكونون ضعافا بسبب التسمم المزمن بالكحول ابان وجودهم بالرحم وتكثر فيهم الوفيات كما سنبينه وبقيت قواهم العقلية عرضة للتأثر السريع باقل مقدار من الكحول ويكثر بينهم عدد المجانين ولهذا قدمت الوزارة الانجليزية الى البرلمان مشروع قانون سيدرسه في دور جلسات اوائل ١٩١٣ يقضى بمنع المرضى او من بعقله دخل ذكرا او اثنى عن الزواج حتى لا يخرج للامة جيشا من البله او المعتوهين محافظة على شعهم من زيادة عدد المجانين بين ظهرانيه وخيرا ففعلت الوزارة المذكورة بضررها بحجج المعترضين على ذلك عرض الحائط بقولهم ان في ذلك اعتداء وجراً على الحرية الشخصية لان الشرع والعقل يحول للجماعة اولامة وقاية نفسها ممن يعملون على تخريبها والحاق الاذى بها من امثال حضرات السكيرين ومدعى تعاطي المغيبات الاخرى .

من الناس من اعتاد احتساء الخمر يوميا حتى اصبحت له عادة انه لا يستطيع شوق لذة النوم قط الا اذا خرب ذرات مخه بمقادير من الكحول يضطر لزيادتها يوما عن يوم بسبب مقاومة الجسم وتسممه المزمن وهي حالة مؤلمة قد لا يفيد لها المنومات العادية كثيرا وما يقاسيه صاحبها من الشقاء ونكد الميش يعتبر عقابا له على جريمته ولا يخفى على المجموع العصبي تأثير آخر لا يظهر ضرره الا بان العلميات الجراحية (وكل انسان في هذه الحياة عرضة لها) وهي الصدمة المخية الفجائية التي تصيبه اثناء تخديره بالكلوروفورم او الاثير وليسان ذلك اقول ان جماعة السكيرين يقاومون فعل المنوم طويلا فيزيد الطبيب المقدار كثيرا وهم يقاومون بكل شدة وماهى اللحظة حتى يراهم وقد انتقلوا فجأة الى دور التهييج الشديد ويقضى اكثرهم نحبهم ابانه اذا لم يكن الطبيب حاذقا ومتيقظا متوقفا حدوث ذلك مستعدا للملاقاة وكل طبيب استعمل الكلوروفورم والاثير كثيرا يعرف خطر

درجة الحرارة ولذا يستعمل في الحميات وهي نتيجة تدحض دعواهم وخير لحضراتهم ان يتناولوا مقادير وافرة من المواد الدهنية والسكرية اذ بذلك يضمنون الحرارة المطلوبة ضد تضرر الجسم بضرار الكحول الفادحة ولنا اسوة حسنة باسكيمو وغيرهم من سكان الاقطار القطبية فهم يقاومون الطقس قبل كل شيء بالمواد الدهنية

يقول بعض الادعياء ان الكحول هو دائرة رحي المجتمعات ومجلبة السرور وانس للاخوان وان الضيافات او الترويض بدونه كالطعام بلا ماعج وهذا قول فاسد من اساسه وياليت شعري كيف كانت اجتماعات الصحابة ومسلمي العصور الاولى وكيف هي مجتمعات من لا يقربون الكحول بالشرق والغرب الا انها لاكثر لذة واجلب للسرور والانس من حفلات السكيرين اذ شتان ما بين اجتماع عقلاء يجاذبون اطراف اشهى الموضوعات ويدلون الى بعض برائى الافكار ويديع المعلومات يعلمهم الوقار والعقل وتزفر عليهم اعلام الادب والاخاء والحكمة وبين اجتماع زمرة من السكيرين كلما اشتدت بهم نشوة الخمر صخبوا وهاجوا ورقصوا وربما رأيتهم وقد تطايرت منهم الكفوف وقاذفوا بالزجاجات واتضاربوا بالكؤوس وكفى انهم ان لم يفعلوا ذلك يكون لهم لب وصخب كهواء الكلاب وتقيق الضفادع يضحكون من لاشئ ويتكبدون لاقل شئ لا يفقهون اقوالهم بل هم قطع مجانين ثم لا تلبث حتى تراهم هذا يتخبط كمن بهجنة اومس من الشيطان وذلك يجر كالصروع وثالث يقى ورابع يلوث المكان والاخوان بقاذوراتهم حتى يصبح هذا المجمع اقذر من المراض ومن اضطرابات بهيمة الانعام وناهيك بما قد يرتكب فيه من المعاصى ويحترج فيه من الجنائيات وتنتهك فيه من السرور فهل هذه الاشياء هي مدار الانشراح وسبب الانس والحبور؟ هذا وليلا حظ القارىء التسممات الناجمة عن غشيان الخمر كاحداث في برلين في العام الماضى حيث ظهرت على عدد كبير من السكيرين اعراض تشابه اعراض الكوليرا ومات بعضهم فاهتمت الصحة وما زالت تنقب وتدرس حتى عرفت ان احدا اصحاب الفنادق الكبيرة بالنظر الى اقتراب ايام عيد الميلاد غش خموره بكحول الميثيل لرخص ثمنه فكل من شربا ظهرت عليه هذه الاعراض وبما ان معمله هوا كبر معامل برلين فكبريات الفنادق والمطاعم اخذت منه مطلوبها وكانت نتيجة اجتماع السكيرين هلاك البعض ومرض الاخرين ورعب اهلهم هذا فضلا عن التسممات باصلاح الرصاص والزرنيخ والاشيمون وغيرها مما يذيه الكحول من الاوانى

هذا الموقف ويدرك فضل من لا يقرب الخمر على السكير ويقر ان اكثر ضحايا الملاجين المذكورين هم جماعة عشاق بنت الحان المدمنون لرشف دم بنت العناقيد. ان القارىء لكتيب وظائف الاعضاء خصوصا تأليف العلامة هالبرتون وشيفر بشأن التجارب التي عملت بشأن معرفة تأثير الكحول على الجسم بالنسبة للتعب من الاعمال والكلال من متابعتها تين باجلى بيان ان السكير يكون انشط واشد من لا يشرب الخمر عند مباشرة نفس العمل بيد ان الاول لا يلبث الا قليلا حتى يلحقه الاعياء وتخور قواه بينما الثانى يستمر على عمله بكل ثبات وقوة حتى انه يقوم في وقت معين بضعف مقام به السكير في نفس الوقت دون ان يصاب بمثل تعبهم وكذلك التجارب بشأن تأثير الجوع والظما وتحمل المسغبة في السكير ومن يشرب الخمر اسفرت عن نفس النتيجة وبينت فضل الثانى على الاول ووضحت مضار الخمر بشكل جلى يطابق تجارب تأثير التعب على الانسان. بعد ان شرحنا تأثير الكحول على المجموعة العصبية نرجع القارىء الى تتبع المقدار الباقي في الدم ليرى سلسلة تحريباته. اولا اغلب الكحول يتحول الى حامض الحليك فحامض الكربونيك والماء وهذا طبعا يفرز مع البول بواسطة الكلى وبالطبع ان شدة الحموضة المتولدة عن احتراق الكحول يضعف قوة مقاومة الدم ويهيج الغشاء المخاطى لجرى البول من الكلى فالخالين فالخالين فالثلاثة فجرى البول وبالطبع اذا اشتد التهيج يولد التهابا حادا او مزمنيا وكل انسان شاهد كثرة التبول الذى يصاب به السكير ومن اشتدت حموضة بوله اما ماتبقى من الكحول فيفرزه الجسم بواسطة الرئة ولهذا ترى نفس الثمل مشعبا برائحة الكحول التي تصبح كريهة بعد ان ازيلت عنها قشور الصبغات والمطرات وافراز الكحول بواسطة الرئين يهيج انساجها ويضعف مقاومتها للجراثيم واتساع او عيبتها بسبب التهيج وسعى الجسم في التخلص من آلام الكحول يسبب الارشاحات بل والنزلات الشعبية الحادة والمزمنة وهناك داء آخر يصيب السكير اولا بسبب سرعة انتقاله من طقس شديد الحرارة الى برد قارس وثانيا لضعف رثته عن المقاومة وثالثا وجود الجراثيم المرضية في الحال القذرة امثال المواخير ومنمكفات الازقة التي يرتطم في الغالب السكير عندها وهذا المرض هو ذات الرئة الخطير العواقب ان البعض يعمل شربه الخمر بان برودة الطقس هي السبب المجبر له على ذلك (هذا هو قول اخواننا الشرقيين الذين تفسدهم المدنية بمجرد نزوحهم عن ديارهم) ولكنهم مما تقدم راوا ان الكحول يعيق الاحتراقات من جهة ويكثر تشجيع حرارة الجسم بالجو وانه عسر الاحتراق من جهة اخرى اى انه يتزل

التي يحفظ بها وهو ما نشاهده في كل وقت وحين فهل هذه لذة المجتمعات في عرفكم يا حضرات السكيرين ؟ اللهم ان ربصائرهم واصلح طبائعهم الفاسدة . يقول بمض مدمي الخمر أنهم يحتسون اقداح هذا السم لانه يقوى الباه ويزيد للذة ويحسن خلقة النسل ويكثره وهي دعاو كاذبة تفسدها التجارب الثابتة والحقائق المنطقية اولا كيف يزيد الكحول قوة الباه مع انه كما تقدم يخرب خلايا الجسم ويضعفها ؟ ثانيا كيف يشعر ذلك التمل النفاقد رشده بلذة او عدمها ؟ اللهم ان النظفة قد يكون بها بعض الكحول فيولد حرارة وحرقة يتصورها الخمور لذة ثانيا دعوى تحسين خلقة النسل وزيادته مكذوبة اولا لان نظفة السكير قد تكون خلوا من الحيوانات المنوية او يكون بها كمية منها قد اضعفها الكحول وثانيا ان التجارب التي قام بها الاستاذ استوكارد تثبت باجلى بيان كذب الدعوى والى القارئ خلاصة اجابته :

اخذ ارناب الهند وصار ينشقها بخار الكحول ستة ايام في الاسبوع حتى ظهرت عليها علائم السكر فاخذ اربعين من انائها وزارجهما بذكور لم ينشقها بالكحول فخمس وعشرون منها لم تحمل او اجهضت في الاسبوع الاول واكثرت الامهات ما اجهضته من الاجنة .

والخمس عشرة الباقية وضعت ٢٥ ارنبا بدله سبعين (التي هي معدل نتائج الخمس عشرة اذا لم تسمم بالكحول) وكانت نتيجة الخمسة وعشرين ارنبا المولودة كالآتي ٢ نمت وكبرت - ٤ لاتزال صغيرة بيد انها يظهر عليها علائم الصحة ساعة المعاينة - ٨ توفيت حال الولادة او بعدها ببضعة ايام - ٤ بقيت في رحم امها عند قتلها اثناء التجربة .

ثم اخذ اربعة وعشرين ذكرا سكير او زوجها باناث سكيره فكانت النتيجة كالآتي .

١٤ اجهضت في الايام الاول من الحمل او لم تحمل للمرة .

٥ ولدت ثمانية اموات .

٥ ولدت ١٢ مات منها ٧ بعد الولادة بقليل والخمسة الباقية عاشت واذا ما علمنا ان معدل ولادة اثني الارباب الطبيعية من ٥ - ٥ اي ان نتيجة ولادة الاربع وعشرين السكيره تساوي نتاج ارنبة واحدة طبيعية فما ابرهذه النتيجة وما اشدّها تكذيبا لدعوى السكيرين

عصر العالم الغربي مضار الكحول فقام يحاربها رافة بالانسانية بتحريم تعاطي

الخمور في انجلترا ممنوع بيعها لمن كانت سنه اقل من الثامنة عشرة وبائع الرشد لا يصح لصاحب الحان ان يسقيه اكثر من اربع اقداح في المرة الواحدة وها هو البرلمان سينظر في جلسات هذا العام القانون القاضي بمنع زواج المصابين بامراض عقلية وهم كما قدمنا اغلبهم من ضحايا الكحول اما في فرنسا فقد قامت جمعية الاتحاد الوطني تعترض على تأجيل مجلس النواب في فبراير الماضي القانون القاضي بتحديد عدد المواخير ذلك القانون الذي سعت الامة في اعطاده منذ خمس عشرة سنه وقالت في نشرتها ان الندوة (الاكاديمية) الطبية في سنه ١٩٠٣ وجميع مجالس الولايات والتكيا ودور العجزة رأيت الضرورة تحديد عدد اما كن بيع الخمور صيانة للامة من سموم الكحول وطلبت الجمعية من النساء السعي للتأثير في الرجال وفي الرأي العام لايجاد تيار شديد وتقديم عريضة مهور من اغلب افراد الامة وخصوصا الامهات اللاتي يهملن سلامة اولادهن واكدت الجمعية ان الكحول هو من اهم اسباب تناقص النسل بفرنسا ومن اشد الواجبات المجاهدة ضده اما في الدانمارك فقد سلكت الحكومة بها خطة معقولة اولا بتحديد عدد اما كن بيع الخمور وثانيا بتحريم شربها على من كان دون سن الرشد وثالثا بتشديدها في معاقبة السكيرين المعربين لدرجة انها تعطى من تكرار منه هذا الجرم ثلاث مرات ورقة صفراء تجبره على تعليقها في صدره حتى يراها كل انسان وبموجب هذه العلامة يرفض اصحاب المعامل استخدام حاملها الاباجر اقل بكثير من امثالهم ولباحت لزواج المدمن طلاقه اما في ايطاليا فقد اجتمع بفلورنسا في ١٠ نوفمبر الماضي المؤتمر الوطني لمحاربة الخمور فبحث مضار الخمور بحثا دقيقا وقرر محاربتها مع ان الايطالي لا يعتبر من المذممين لانه يشرب في السنه ٨٥ لترا من الخمور بينما الفرنسي يحتسى ١٦٣ والبلجيكي يكرع ٢٢٥ اما اهم الطرق التي قررها المؤتمر المذكور فتتجصر في تشويق المزارعين لاستبدال الكروم بنيرها من المزروعات النافعة وثانيا مضاعفة الضرائب على مصانع الخمور وثالثا زيادة ضرائب الحانات لبضع سنوات ورابعا قر المجلس على اقتراح الحامي روسادي القائل باعتبار السكر جريمة والقضاء القبض على السكير وزجه في السجن حال مبررا اقتراحه بان قدماء اليونان كانت تعاقب السكير اذا ما اجرم مرتين واحدة عقابا على نفس الجرم والثانية على سكره ولقد بلغ من تشدد بعض مقاطعات الولايات المتحدة ان منعت استعمال الكحول من الداخل حتى بصورة

علاج ولذا قررت الاستعاضة عن خلاصات وصبغات بعض العقاقير التي تستخرج بواسطة الكحول بمغلي او منقوع العقاقير المذكورة واخذت تصيف الى الكحول العادي بعض صبغات الانلين السمية منعاً للناس عن احتسائه ولقد عاب البعض هذا التشدد ولكنها مع اعترافها بفوائد الخلاصات والصبغات بل ونفس الكحول اذا ما وصف بواسطة الطبيب بمقادير قليلة في حالات معينة نرى ان اثمه اكبر من فائده كما يقول القرآن العظيم ولهذا تحرمه تماماً اي انها تتبع نص ديننا الحنيف

هذه ايها القارئ اعمال ومجهودات حكومات وائم الغرب التي ليس من اوامر دينها تحريم الخمر فاذا عملت الحكومات الاسلامية لمحاربة هذا الداء العضال ؟ الخمر المغشوشة السامة تباع بزهد الاثمان وفي القرى والدساكر حتى في الحوايت التي لم تأخذ رخصة بيعه ولم ترالحكومة تفتش على المصانع وتثقل كاهل اربابها وحانات الخمر بفادح الضرائب ان لم تتمكن من منعها بتاتا ولم ترمن علمائنا من يقوم مثل رئيس اساقفة انجلترا مندداً شاربي الخمر منوطاً في شرح مضارها ومن الخجل ان نرى المتعلمين يعتبرون احتساء هذا السم من علائم المدنية ولم نر محاكماً تنفذ الاحكام الشرعية على السكير ولا المجالس النيابية تسن اللوائح النافعة في هذا الباب كما يفعل الغربيون فيالله من هذا التأخير وياسفاه علينا من جراء هجرنا اوامر ديننا الحنيف :

اذا كانت الامة العربية عند ظهور الاسلام قد كبت شهواتها وتغلبت على اهوائها وهي البدوية الجاهلة يومئذ فامتعت عن شرب الخمر في بحر اربع سنوات تدريجاً فهل لنا اليوم ونحن ندعى بالتقدم والعقل ونصف انفسنا بالتفقه والحكمة ان نجاريها في هذا الباب بمد ان تبنت لنا مضار الكحول الجسيمة ان سنة واحدة كافية لترك السكير الخمر تدريجاً لو كان شديد العزيمة حديدي الارادة واربع سنوات كافية لكل انسان مهما بلغ ضعف ارادته وما هي الالهة تبذلها الحكومة وحركة تقوم بها الفئة المتعلمة وجماعة الشيوخ حتى تنق هذا العدو عند حده ولنا من الرياضة البدنية واكل المواد السكرية خصوصاً البسل الاسود وخلاصة المائتين في الاوقات التي كان من عادة السكير احتساء الخمر فيها خير معين على قطع دابره فيل تنال هذه البغية حتى نونق الى المحافظة على انفسنا واولادنا باتباعنا او امر الدين الحنيف وهل لايعتبر من انقطع الادلة على

صدق ان قرآن ان احكامه المنزلة على النبي الامي صلى الله عليه وسلم تطابق تماماً احدث واصدق ابحاث العلوم الحديثة في القرن العشرين فلنحمد الله الذي هدانا بفضل هذا الدين المبين فلنتبع احكامه بكل دقة والسلام على من استمع القول فانبع احسنه .

احمد فؤاد

— (اسئلة واجوبتها) —

حضرة الاستاذ منشيء مجلة الهداية الغراء

نرجو منكم ان تنشروا في مجلتكم جواب الاسئلة الآتية

(١) متى كان تحريم الخمر وهل وقع التحريم تدريجاً ام دفعة

(٢) ماهي ليلة القدر وما المقصود من التماسها في اوقات مخصوصة

محمد عبد الكريم

الهداية (١) — قدروى في بيان وقت تحريمها روايات عدة سردها

اصحاب الحديث ببعض ترجيح وامثل آرائهم ماجاء في شرح الرزقاني [١]

لموطاً الامام مالك رحمه الله اذ قال وروى اصحاب السنن عن عمر انه قال

اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت آية - يسألونك عن الخمر والميسر

قل فيها اثم كبير ومنافع للناس واثمها اكبر من نفعها - فقرئت عليه

فقال اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت آية - لا تقربوا الصلاة وانتم

سكارى - فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت آية

المائدة وهى قوله تعالى - انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه - قال عمر انتهينا .

قال الزرقانى و بحديث عمر قد يجمع بين الاقوال الثلاثة باحتمال ان كل مرة كانت فى سنة من السنين التى جاءت فى تلك الاقوال وهى السنة الرابعة والسنة السادسة والسنة الثامنة اهـ

ونحن نقول ان تحريم الخمر لاشك وقع تدريجيا لان العرب فى الجاهلية كانوا يألفونها ألفة لايسهل معها اقلعهم عنها اذا حرمت لاول وهلة . والذى يؤخذ من العبارة السابقة ان الآيات الثلاث نزلت فيما بين السنة الرابعة بعد الهجرة والسنة الثامنة منها . وقد اثبت علماء الحديث ان آية المائدة نزلت قبل فتح مكة . ومن هذا يفهم ان ما بين آية البقرة (الاولى) وآية المائدة التحريمية (الاخيرة) يكاد يكون ثلاث سنوات او تزيد شيئا قليلا فان فتح مكة وقع فى شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة النبوية .

الجواب (٢) - كثرت اقوال المفسرين فى شرح ليلة القدر وخواصها وما يجب ان يعمل فيها و سردوا من الاحاديث مالا يكاد يصح منه فى هذا الباب شئ (١) والذى نراه ان ليلة القدر هى ليلة الضيق التى نزل فيها الوحي على المصطفى وهو يتعبد فى غار حراء على نحو قوله تعالى (ومن قدر عليه رزقه) اى ضيق عليه رزقه . قال هشام بن الكلبي (٢)

(١) قد سرد ابن كثير احاديث الباب وبين ما فيها من غرابة او نكارة او ضعف او اضطراب فارجع الى الصحيفة ٢٥٢ و ما فيها من الجزء العاشر من النسخة المطبوعة بحاشية فتح البيان .

(٢) راجع الجزء الثانى من تاريخ الكامل لابن الاثير صفحة ١٧

أتى جبريل النبي اول مائاته ليلة السبت وليلة الاحد ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين .

واذا كانت هاتان اللتان او احدهما كما هو راي بعضهم مظهر ذلك النور القدسى ومهبط تلك الشريعة السمحة كان حقا على المؤمنين احيائها بالقيام و ترتيب ذلك الفرقان الذى نزلت اولى آياته بها ليخرج الناس من الظلمات الى النور وليبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ما كثر فيه ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم . ولا جرم ان ليلة تكون بعناية الله بالبشر مبدء تلك الآيات الباهرة والاحكام الكفيلة لسعادة من يتمسك بها جدرة ان تكون خيرا من الف شهر . ولم يكن تعيين هذا العدد قصدا الى الحصر او اشارة الى مدة دولة بنى امية او نحوها مما اسرف المفسرون فى بيانه وافاضوا فى تفصيل هديانه وانما هى سنة القرآن المجيد فى سلوكه طريقة العرب اذ ذاك فقد كانوا يذكرون الالف والالاف وهم لا يعنون مقاديرها وانما يقصدون المبالغة والكثرة .

ومن شاء ان يعرف مبلغ الضيق الذى اصاب المصطفى الكريم فى اول بدء الوحي فقد روى المحدثون عن عائشة قالت كان اول ما ابتدئ به الرسول من الوحي الرؤيا الصالحة كانت تحيى مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان بغار حراء يتعبد فيه الليالى ذوات العدد ثم يرجع الى اهله فيتزود لمثلها حتى فجأه الحق فأناه جبريل فقال يا محمد ان رسول الله قال فجثوت لركبتى ثم رجعت ترجف بوادى فدخلت

على خديجة فقلت زملوني زملوني ثم ذهب عنى الروع ثم اتاني فقال يا محمد انت رسول الله قال فلقد هممت ان اطرح نفسي من حلق فتبدى لي حين هممت بذلك فقال يا محمد انا جبريل وانت رسول الله ثم قال اقرأ قلت وما اقرأ قال فاخذني ففطنني ثلاث مرات حتى بلغ منى الجهد (الحديث) .

ومن هذا الحديث واشباهه المتواترة يتبين ان ليلة بدء الوحي كانت ليلة القدر والضيق الشديد على الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد نوه الكتاب الكريم بشأن هذه الليلة وضجوة غدها اذ اقسم بهما رادا على من قالوا تشفيا او أسفا ان رب محمد ودعه وقلاه فقال (والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى)

حضرة الاستاذ مدير الهداية (سؤال)

اختلف رجلان فيما تكثر روايته من قولهم (اترك الترك ماتركوك) أحديث صحيح ام من العبارات الشائعة على اللسان فترجو من فضيلتكم البيان .
مشارك

(الهداية) الحديث المتقدم موضوع آفته مسلمة قال ابن حبان ومسلمة هذا يضع الحديث .

— (طرابلس الغرب) —

— و —

— { العالم الاسلامي } —

عرف العالم الاسلامي مآل الاتفاق الذي ابرم بين ايطاليا وبين الدولة العثمانية في المسألة الطرابلسية كما عرفوا نصوص الاوامر العالية

التي اصدرتها الدولة العلية بمنح طرابلس وبنى غازى الاستقلال الادارى وتعيين نائب عن السلطان فى طرابلس الغرب يمثل جلالته فيحافظ على تلك المقاطعات الافريقية (١)

يسمى فرمان السلطاني ذلك (مختارية طرابلس وبنى غازى) وفسرت هذه المختارية فى المادة الثالثة من ذلك فرمان كما يأتى:

تدار مقاطعات طرابلس وبنى غازى بالقوانين الجديدة والنظامات المخصوصة الموافقة لاحتياجات البلاد وعاداتها ولاجل تأمين ذلك تطلب معاونة الاهلين فى اثناء وضع تلك القوانين والنظامات بناء على الوصايا والاشعارات

ان هذه المادة على مجيها فى معرض تفسير الاستقلال الداخلى للمقاطعات طرابلس وبنى غازى لم تبين لنا مديهما ولا من الذى سيشارك اهليهما وفى وضع القوانين والنظامات اهو نائب السلطان ام غيره ؟ بيدان المادة الثالثة تدل بعض الدلالة من طرف خفى على ان نائب السلطان هو الذى سيكون واليا لادارة تينكم المقاطعتين .

نترك البحث فى نص فرمان السلطاني ومغزى عبارته الى النظر فى قانون ايطاليا فى طرابلس الغرب المنشور فى الجريدة الايطالية الرسمية فان فى عباراته ما يضارب عبارة ذلك فرمان وينطق صراحة بان ايطاليا اصبحت صاحبة الامر والنهى فى تلك الارض وليفهم القراء معنى الاتفاق العثماني الايطالي فى طرابلس يكفى ان تقتطف المادة الثالثة

من ذلك القانون وهي كما يتلى : المادة الثالثة ان المأمور المخصوص الذي يعين من قبل السلطان انما هو مأمور بالحفاظة على المنافع العثمانية وحقوق العثمانيين . والعثمانيون هم الذين يقيمون في ولاية طرابلس الغرب بعد اعلان حاكمية ايطاليا في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٩١٢
فهذه العبارة صريحة في ان طرابلس و بنى غازى اصبحتا ايطاليتين وان سكانهما من رعايا حكومة ايطاليا ليس لاحد التداخل في شئونهم وما يمثل السلطان هناك الا سفير للدولة العثمانية لاعلاقة له الا بالعثمانيين الذين يقيمون في تلك البلاد بعد اعلان تلك الحاكمية الايطالية .

فلنترك الآن البحث فيما كان من الاتفاق و مواده ولنكف عن الخوص في هل كان من الضروري عقد تلك المصالحة والبحث في اضر تعيين المسئول عن ضياع تلك البقعة الوحيدة التي كانت للعالم الاسلامي بافريقية كالخجيرة للانسان يتنفس منها . نترك الخوض في جميع ذلك الآن مكتفين ببيان مايجب على العالم الاسلامي بعد ان قطعت الدولة لاصرها صلتها بالعرب المجاهدين في تلك الديار النائية و بعد ان اعترفت انجلترا وفرنسا و المانيا وغيرهن بامتلاك ايطاليا لتلك البلاد الاسلامية من المعلوم ان اهل طرابلس اصبخوا بعد عقد الصلح افرقيين منهم من اسلم نفسه لايطاليا ورضى برعايتها وحكمها وهم سائر من يقطنون دون الجبل الغربي فاما الفريق الثاني فهم سكان الجبل الغربي وماوراءه من الجنوب و زعيم هؤلاء الشيخ سليمان الباروني ذلك

المسلم الفيور المقدام . وهؤلاء قدبايعوا الله تعالى على الموت في سبيل حماية دينهم وبلادهم دون كل طامع .

اما في ولاية بنى غازى فان جميع اهلها ماعدا سكان مدينتى بنى غازى ودرنه فانهم تباعوا على الدفاع عن بلادهم واصرروا على الحرب مهما حملتهم من الارواح والمال . هذه هى الحالة الحاضرة لمن يريد ان يتدبر الامر و يفكر فيما يجب عمله ازاء تلك الاراضى الاسلامية التي دخلت في حوزة الصليب بسبب غفلة حكامها وجهل اهلها . ولقد شعر البطل العظيم انور بك القائد العام لجيوش بنى غازى بهذه العاقبة المؤلمة فكتب الى رسالة بتاريخ ١٠ ايلول سنة ١٣٢٨ رومية يدعوني بها الى السعى وراء حث المسلمين على مداومة الاكتساب بالمال في سبيل اعانة مجاهدى افريقية هذا نصه

من مركز الجيش العمومى بعين المنصورة

عزيزى عبد العزيز چاويش

يفهم من طرز جريان المذاكرات الصلحية كما تفهمون حضر تكهم ايضا ان الحكومة متهاقنة على الصلح على اى حال . وبالطبع حيثما يجرى الصلح تنقطع معاونة الدولة عنا و معلوم ان من الشين والمعرة على جميع العالم الاسلامي تسليم هذه الاماكن التي دافع عنها رجالها دفاع الابطال الى ايطاليا بلا سبب سوى قلة المال و بناء على ذلك يجب السعى على كل حال في جمع الاعانة وارسالها من الآن الى حضرة دولتو عمر

طوسون باشا (بالاسكندرية بمصر) حتى يكون لدينا مقدار كاف
من الاموال احتياطاً وفي الختام اعرض لفضيلتكم وجميع الاحباء
سلامي واحترامي

القائد العام للجيش بنغازي
انور

من هذا يتبين للعالم الاسلامي انهم هم المسؤولون اليوم عن صيانة
تلك النفوس العالية التي اذا قت على قتلها احدى الدول العظمى العذاب
والنكال اكثر من اربعة عشر شهرا والتي ستذيقها في المستقبل اكثر
وامر مما ذاق

فعلى الشعوب الاسلامية في اطراف الارض ان يؤلفوا لهذا الغرض
السامى اللجان الخيرية وان يبايعوا الله على امداد اولئك المجاهدين بالمال
ماداموا واقفين ارواحهم على حماية دينهم واطوانهم.

ولقد اخذ بعض المرجفين يخلق الشبهات والظنون السيئة لعودة
انور بك من تلك الارض وماهم الا مبطلون. ذلك ان انور بك كما هو
معروف بديهي رجل الاسلام ومجدد مجده في هذه الايام. ولا ريبه
لاحد في ذلك الرجل العظيم وكان خيرا ان يترووا ويتهلوا حتى يعلموا
سبب عودته وهل كان مجيئه بعلم سيدى السنوسى او خلسة وهل هو عائد
لاستئناف جهاده العظيم بعد ان تضع حروب البلقان اوزارها

قرأنا ما كتب في صدد دعوة انور بك فجعلنا ننتظر مقدمه كيما نساله
رأيه في ذلك. وقد كان مارجونا فلقد قابلناه في منزله ثم جرى بنا

الحديث حول عودته واسبابها وهلم جرا وهنا نقتطف للقراء نص بعض
عباراته اذ يقول اني اسست دوام المقاومة بنغازي الى الابد وكذلك
توفقت للاتيان متسكراً بسرعة الى مركز الخلافة لاجل منافع مهمة
تتعلق بالملة الاسلامية العثمانية. وكذلك تركت بنغازي من اجل مسألة
عظيمة معلومة لدى السيد احمد الشريف السنوسى ولا يستطيع ان
ابوح لكم ببعض التفاصيل في شأن هذا السبب العظيم ملاحظة
للمنافع الاسلامية. نصر الله الاسلام و وفق المسلمين في كل بقعة من
الايوان اما الجرائد التي كالمؤيد وامثاله فسيصيرون خجلاين ونادمين على
الافتراءات التي درجوها حينما يعرفون الاسباب الحقيقية لسياحتي.

س - ثم سألته هل تعودون الى بنغازي ؟ فقال :

ح - اما الآن فانا جندي بالمعسكر العثماني متبع كل اوامر الحكومة
واما عند الزوم فاقدم استعفاي من سلك الجندي فاصبح حرا وعندذاك
احمل كل المسؤولية على شخصي وعائقي باعتبار كوني عثمانياً حراً واخدم
ماتى ودينى باى محل اردت فعلى العالم الاسلامي جميعه ان يؤلف اللجان
ويجمع المال حتى يتمكن أولئك المجاهدون الابطال من مقاومة حكومة
الاطليان الصليبية التي تريد الاشتراك مع دول اوربا الاخرى في محو معالم
الاسلام من افريقية وان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

— { مؤتمر لوندرة } —

بينما كانت المعارك دائرة حول شاتلجه في شهر نوفمبر اراد كامل باشا الصدر
الاعظم الحالى ان يدخل مع الحكومات المتحاربة في محادثات مؤدية الى الصلح
فدارت المحادثات الابتدائية بين ناظم باشا وبعض المندوبين العثمانيين من جهة

ومندوبى الحكومات البلقانية المتحدرة من جهة اخرى فى قرينة بانجيه كوى للاتفاق على وضع شروط المهادنة اللازمة لاجل الشروع فى مخابرات الصلح فتم الاتفاق على الهدنة .

وفى الحقيقة ان الهدنة كانت ضرورية للجند البلقانيين اكثر مما كانت ضرورية لجنودنا بالنظر لابتعاد البلقانيين جداً عن بلادهم ومركز حركاتهم الحربية وخطوط مواصلاتهم ولان الامراض والابئة كانت قد تفشت فيهم بدرجة لا تحتل ولان اسطولنا ابل فى جناحيهم من جهتي ترقيوس وبيوك شاكيجيه ابلء حسناً فضلاً عن استطالة الشراكة واللاظ والاكراد على القلب وقتلهم آلافاً من البلقانيين ولهذا لم يتأخر البلقانيون عن التسهل نوعاً ما فى شروط الهدنة . واختارت الحكومات البلقانية المتحدة لوندرة مركزاً للمفاوضات فعقد فيها المؤتمر وذهب مندوبو الحكومات الخمس اليها مفوضين من قبل حكوماتهم .

وفى هذه الاثناء كانت مقدونيا والباينا محتلتين بالجنود البلقانية والصربية والجبلية وايونانية فرأت الدول الاوربية ولاسيما دولتنا النمسا واطاليا عقد مؤتمر من سفراء الدول الست الكبرى ليقرر حالة لالباينا وليضع مبادئ تسير بموجبها الحكومات البلقانية والحكومة العثمانية فى مفاوضات الصلح .

واول واهم مقررته مؤتمر السفراء الذى عقد بلوندرة ايضا اثناء انعقاد مؤتمر الصلح اعطاء البانيا استقلالاً داخلياً تاماً وجعل احد الثغور المشرفة على الادرياتيک دلياً و ايتسال سكة حديدية اليه من الحدود الصربية ليكون هذا الثغر الحر منفذاً للمتاجر والمصنوعات الصربية على ان تكون هذه السكة الحديدية دولية ايضا .

اما مؤتمر الصلح فقد كانت اولى جلساته مختصة بعرض اوراق الانتداب فاقب المندوبون العثمانيون قبول المفوضين اليونانيين فى المؤتمر لان اليونان لم تقبل المهادنة فاحتج مندوبو البلقان بان المفاوضات كانت دائرة بين المندوبين العثمانيين والايطاليين مع عدم انقطاع المحاربة بين الدولتين فأوضح المندوبون العثمانيون ان تلك المفاوضات لم تكن رسمية ولم يعقد لها مؤتمر وانما سارت بطريقة خاصة ادت الى عقد الصلح النهائى بين الطرفين فليس هنالك شبهة بين الحالتين فاصر المندوبون البلقانيون على عدم الدخول فى المخابرات الا اذا كان المندوبون اليونانيون مشتركين فى المؤتمر . فرفع المفوضون العثمانيون الامر الى الباب العالى فحسم كامل باشا الاشكال باجابة الحكومات البلقانية الى تحكيمها .

ثم درت المباحثات حول الموضوعات التى يجب الخوض فيها للوصول الى الصلح فكان هم البلقانيين الحصول على مقدونيا وعلى ولاية ادرنه وابقاء مايلى نهر التراس الى شبه جزيرة غاليلوى للحكومة العثمانية والاستيلاء على جزر الاخييل باسرها . اما العثمانيون فاعطروا الرغبة فى منح ارض من ولاية ادرنه مع بعض الجزائر المجاورات للشاطئ الاسيوى والكثثة على مدخل الدردنيل . وهنا اشتد الخلاف بشأن مدينة ادرنه لانها فى الحقيقة ذات معقل منبع وهى قلعة مرعش ولاسيما لان حاميتها قد اظهرت من الشهامة والبلاء الحسن فى الدفاع ما ليس يحى من التاريخ العثمانى ابد الدهر .

وفى هذه الاثناء طرأ على الحكومة العثمانية طارئ جديد جعلها تشر بقوة جيشها الرابض فى شتاتجه واستعداداته لاتخاذ خطة الهجوم لا الاكتفاء بخطة الدفاع . فارسلت تعليمات جديدة الى المفوضين العثمانيين تقضى بعدم التنازل عن شئ من اراضى ولاية ادرنه للبلغار بل الاقتصر على تعديل الحدود بما يضمن بقاء انقطاع المشاكل والخصومات فى المستقبل واخراج المناقشة فى امر الجزر من موضوعات المؤتمر لان جزر الارخييل ليست من الاراضى البلقانية وهى فضلاً عن هذا السبب معتبرة من الاراضى العثمانية الاسيوية فلا دخل لها فى المنازعات الاوربية . فلما احتج المندوبون البلقانيون على هذا التطور الجديد الذى طرأ على سير المفاوضات قال المندوبون العثمانيون ان الدولة العثمانية انما تعمل وفق رغائب الحكومات البلقانية والدول و بما ان تلك الرغائب كانت متجهة الى ادخال اصلاحات فى الروملى فقد قبلت الدولة العثمانية ادخال اوسع الاصلاحات وانجتها فى مقدونيا والباينا بمنحهما الاستقلال الداخلى التام . فدارت المناقشات بشدة بين الطرفين وقال المفوضون البلقانيون ان المندوبين العثمانيين لم يراعوا حالة الحرب ومركز الحكومة العثمانية الحاضرة وعلى ذلك طاب البلقانيون من العثمانيين عرض شروطها اخرى اكثر تساهلاً واقرب تناولاً غير انهم حينما انسوا من الحكومة العثمانية الاصرار على مقررته قدموا انذاراً كتابياً فى يوم ٣٠ يناير الجارى للمندوبين العثمانيين بان المخابرات تنقطع اذا لم تعرض شروط اخرى تقضى بالتخلي عن مدينة ادرنه وعن جزر بحر سفيد بما فيها كريت بلا قيد وشرط و ضربوا موعداً للجواب الساعة الرابعة بعد يوم الاثنين ٦ يناير غير ان المندوبين العثمانيين اجابوا بانهم لا يقدمون الجواب فى اليوم التالى . وكان جواب الباب العالى الاصرار على شروطه وارسل منشوراً الى سفراء العثمانيين لدى الدول الاوربية الكبرى يخبرهم فيه ان يشعروا هذه الدول بان الحكومة العثمانية قد فعلت كل ما فى وسعها لابرام الصلح غير ان الحكومات البلقانية اصررت على مطالبها التى لا يمكن قبولها ابداً .